روائع شكسبير

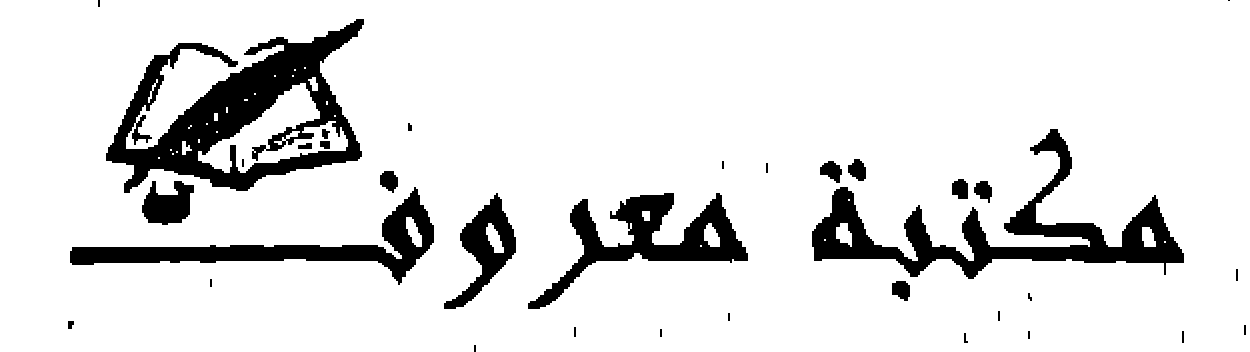
# ترويض الشرسة

مكتبة معروف

روائع شكسبير

# ترويض الشرسة

حمدى السعداوى




الإسكندرية، ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة، ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ١٣٧٠ الإسكندرية

# تعريف بالكاتب

★ وليم شكسبير من أعظم شعراء الأنسانية .

كان مولده فى شهر أبريل من عام ١٥٦٤ ببلدة ستراتفورد الأنجليزية وكان والده رجل أعمال ناجحا وكانت أمه من بنات عائلة ثرية معروفة . وتعلم شكسبير مع أخوته الأربعة فى مدرسة البلدة حيث كان يدرس اللاتينية وآداب الأنجليزية ويبدو أن شكسبير أستطاع بطريقته الخاصة أن يزود معرفته باللغة الفرنسية وكذلك الإيطالية .

وفى عام ١٥٧٧ وكان عمره ١٣ عاما .. أضطر شكسبير إلى ترك الدراسة والألتحاق ببعض الأعمال البسيطة كى يساعد والده فى تدبير أمور معيشة الأسرة وذلك بعد أن ألمت بالأب بعض الصعاب المالية جعلته يفقد أعماله الناجحة .

وفى الثامنة عشر من عمره تزوج وليام شكسبير من أمرأه تكبره بثمان سنوات ورزق منها بثلاثة أولاد ولكنه لم يستطع التأقلم على الحياة الزوجية التى تتطلب من المرء ألتزاما وثباتا لم يجدهما وليام متوافران لديه .. فكان كثيرا ماينشب الشجار بين الزوجين ، ودفعت تلك الأزمات بشكسبير إلى مجموعة من أصدقاء السوء .. فكان وهو

فى تلك السن الصغيرة نسبيا يقترف معهم بعض الأعمال الإجرامية الصغيرة كسرقة الأرانب والغزلان من مزارع الأعيان .

وفى عام ١٥٨٥ نظم شكسبير قصيدة فى هجاء أحد الوجهاء فى بلدته .. ويبدو أن هذا الوجيه قد ضايقه بسبب تلك القصيدة ، فعزم وليام شكسبير على أن يترك ستراتفورد إلى حين ، وغادرها إلى لندن التى وصلها معدما ، بلا صنعة يحترفها أو مهنة يتقنها ، ويختلف المؤرخون فى تفاصيلها تلك الفترة الأولى من حياته فى لندن .. فمنهم من يقول أنه أمتهن حراسة خيول رواد المسرح الأثرياء والذين كانوا يتركونها خارج المسرح . ومنهم من يقول أنه عمل كخادم فى المسرح . ولكن الأرجح أنه عمل كمساعد ملقن مستعينا فى ذلك بمحصول دراسته الأدبية فى الأدب الأنجليزى ومعرفته ببعض اللغات الأجنبية .

وفى عام ١٥٩٢ تقريبا بدأ وليام شكسبير عمله ككاتب مسرحى له قدره وذلك بعد أن أشتهر بين الأوساط الفنية فى لندن بأنه مراجع جيد للنصوص المسرحية ، أما أولى وثباته فى تاريخ النجاح فكانت فى عام ١٦٠٣ حين أعتلى چيمس الأول عرش أنجلترا ودعاه ليمثل فى القصر الملكى أمام الملك ورجال البلاط المحترمين .

وفى عام ١٥٩٧ عاد وليام شكسبير إلى بلدته ستراتفورد التى غادرها معدما ، وهناك أشترى بعض العقارات ومخزنين للحبوب وعاد أسمه وأسم عائلته إلى الظهور مرة أخرى ، وأستقر وليام

شكسبير فتره فى بلدته يوطد فيها مركزه ويعيد لأسم عائلته مجدها الذى ضاع سنينا طويلة ، ثم عاد إلى لندن عام ١٥٩٩ ليؤلف ويمثل العديد من المسرحيات الناجحة ، وبلغ نجاحه حدا كبيرا لدرجة أنه أستطاع أن يحصل على جزء من أرباح مسرح الكرة الأرضية الشهير وكان من أكبر مسارح أنجلترا فى هذا العهد .

وفى عام ١٦١١ أنهى شكسبير نشاطه المسرحى فى لندن بعد ما أثرى الأدب الأنجليزى بمجموعة كبيرة من الأعمال الفنية جعلته بحق أمير الأدباء فى عصره ، وفى عام ١٦١٦مات فى ستراتفورد عن عمر ٥٢ عاما تقريبا ، ودفن فى بلدته التى غادرها صغيرا ولكنه عاد إليها شخصا معروفا ، ثريا تتناقل أسمه كل محافل أنجلترا الأدبية ..

ترك وليام شكسبير تراثا خالدا من الأعمال الأدبية العظيمة يمكن تلخيصها عدديا كالآتى :

١٤٠ مقطوعة شعرية

٥ قصائد طويلة

٣٧ مسرحية شعرية تتخللها بعض المواطن النثرية ..

ويقسم المؤرخون أعمال شكسبير المسرحية إلى ثلاثة أقسام حسب موضوعاتها .

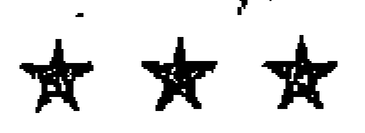
– مسرحيات هزلية .. ومنها ملهاة الأفكار ، حلم ليلة صيف ، الليلة الثانية عشرة .

- مسرحيات تاريخية ... ومنها الملك هنرى الرابع ، الخامس ، الملك جون ..

- مسرحيات مأساوية .. ومنها يوليوس قيصر ، هاملت ، عطيل ، أنطونيو وكليوباترة والجدير بالذكر أن براعة شكسبير الفائقة في تصوير الأحداث وتحليل العوامل النفسية لشخوص أبطال مسرحياته جعلت الكثير من المؤرخين والباحثين يتركون المسرحية نفسها لدراسة بعض التفاصيل التي تبدو بعيدة عن الموضوع نفسه ، فمثالا .. متى كتبت هذه المسرحية ؟ .. ومن من الأدباء الذين تأثر بهم شكسبير عند كتابته للمسرحية ؟.

بل أن دراسات أدبية ذات قيمة عاليه جيدا كانت تجرى على بعض أبطال رواياته أمثال شايلوك التاجر اليهودى فى مسرحيته ( تاجر البندقية) وعطيل القائد المغربى الأسود فى المسرحية المعروفة بنفس الأسم و ...

وهكذا كان وليام شكسبير أسطورة حقيقية للأدب فى كل زمان ومكان.



# الشخصيات الرئيسية

* باتيسنا : ثرى إيطالى
* كاثارينا : ابنة باتيسنا الكبرى
* بيانكا : ابنة باتيسنا الصغرى
* لوسنشيو : حبيب بيانكا
* بتروشيو : خطيب كاثارينا
* جريميو : طامع فى زواج بيانكا
* هورتنشيو : طامع فى زواج بيانكا

# السيد .. والصعلوك ..

داخل إحدى الحانات جلس رجل صعلوك ، رث الثياب ، حقير الهيئة يعب أقداح الخمر الواحد تلو الآخر وكأن ما يشربه ماء لا تأثير له ولا قوة وكان من الواضح أن الشارب معتاد على احتساء الخمر بشراهة ، ومن الناس من يسكرهم قدح واحد ، ومنهم من يسكره قدحان أما صعلوكنا هذا فقد كان من الواضح أنه فى حاجة إلى ماهو أكثر من مجموعة أقداح كى تبدأ الخمر فعلها بعقله ، وبحواسه ..

وأخيراً .. سكر الصعلوك ، لعبت الخمر بعقله وأتت إليه بأشباحها وخيالاتها .. وكان أول ما تخيله هو ضرورة الامتناع عن سداد ثمن ما شربه من خمر !!..

صاحت به صاحبة الحان :

ياغبى .. ياحقير .. أيها الصعلوك القذر ادفع ثمن ما فضضته من قوارير الشراب ..

وللصعاليك دائما مجد قديم وتاريخ مجيد لا يعرفه غيرهم ..

وبكلمات ممطوطة قال الصعلوك .. وكان اسمه ( كريستوفر سالاى) .

– أنا غبى !؟ .. أنا حقير ياحمقاء ، ياسقط المتاع ، إن آل سلاى من الأشراف المحترمين ، انظرى فى سجلات التاريخ يا جاهلة ، لقد دخل آل سلاى تلك البلاد مع أشهر وأعظم ملوكهم ، ولذلك يجب عليك أن تصونى لسانك وبمعنى آخر عليك أن تخرسى ودعى الحياة تسير فى رفق ..

وأصحاب الحانات معتادون دائما على مثل هذه الأصناف من البشر لذلك قالت مصطنعة الصبر ..

– إذن يا سيدى المجيد الشريف ، يا سليل آل سلاى العظيم ، أرجوك بل أستعطفك .. ! دفع ثمن ما شربته .

أجاب كريستوفر سلاى وهو يستعد لفقدان الوعى ..

– كلا .. ولا بنساً واحداً والآن اتركينى فأنا أشعر برغبة عارمة فى النعاس ..

قالت صاحبة الحان متخلية عن صبرها المصطنع :

– أنا أعرف علاج حالتك .. سأستدعى لك رئيس الشرطة فإما أن تدفع أمامه ما هو مستحق عليك .. أو تنعم بنوم لذيذ فى السجن ..

وخرجت صاحبة الحان لتنفيذ تهديدها بينما الصعلوك يتمتم :

-- احضـرى رئيس الشـرطة .. أو من يليه رتبـة .. أو من يلي من يليه رتبة..

وسأعرف كيف أجيب أياً منهم .. وبالقانون .. واعلمى يا سيدتى الشـمطاء أننى لن أتزحـزح من هذا المكان حـتـى تعـودى .. اذهبى يصحبك الشيطان ولتحضرى من تحضريه .. ولكن أحذرك يجب أن يتكلم مـعى من سـتـأتى به بأدب .. نعم .. بأدب .. فنحن آل سـلاى الأمـجاد نحترم جدا السادة المهذبين .. العقلاء ..

وتثاءب كريستوفر سلاى .. ولما وجد أنه يحدث نفسه .. رقد على الأرض وراح فى نوم عميق ..

.. ودخل بعد لحظات أحد السادة إلى الحـان قادماً من رحلة صيد طويلة ، ودخل بعض رجال حاشـيته معه وتلفت السـيد يمينا ويسارا برأسه يبحث عن صاحبة الحان ، فلما لم يجدها صاح يلقى بتعليماته على رجاله :

– يا حارس الصـيد ... ارع كلاب الصـيد كل الرعـاية وترفق بها وابذل المزيد من الرعـاية لكلبى الصـغيـر " مـريمان " ، فقـد أضناه التعب ..

ثم جلس السيد على أحد المقاعد وتقـدم أحد الكلاب الضـخمة وقبع تحت قدميه ، فربت السـيد على رأسه قائلاً لأحد رجاله :

– هل رأيت ما فعل " سيلڤر " ، اليوم .. إنه كلب ثمين ذكى وإنى

لا أفرط فيه ولو عرضوا على عشرين جنيها ثمنا له ..

فقال الرجل متملقا : كل كلابك ذكية يا سيدى .. كلاود وبلمان وركو لافضل لكلب على الآخر ..

قال السيد مبتسما : لذا أسألك أن تقدم لها أفضل العشاء وأن ترعاها كل الرعاية لأنى سأخرج للصيد مرة أخرى غدا ..

وحانت من السيد التفاته عابرة .. فلمح الصعلوك نائما على الأرض فقال فى دهشة يسأل اتباعه :

– من هذا ؟! .. ميت أم مخمور ؟.. فلينظر أحدكم فى أمره ..

توجه أحد الأتباع إلى الجسد الراقد وتحسس نبضه .. ثم قال :

– إنه يتنفس يا سيدى وأغلب ظنى أنه مخمور فلولا ذلك ما استطاع النوم هكذا فى مثل هذا البرد القارص ..ربما بعثت الخمر الحرارة فى جسمه فنام هذا النوم العميق ..

قال السيد متأففا :

ما أشبهه بالخنزير فى رقدته هذه ..

فقال أحد الأتباع : أظنك تسب الخنزير حين تصف هذا المخلوق به .

وسطعت فكرة عابرة فى ذهن السيد فقال :

– اسمعوا أيها الرجال ، إنى سألهو بهذا المخمور ، مارأيكم لو

نقلناه إلى فـراش وثيـر ، وغطيناه بالأغطـية الحـريرة الثـمـينة ، ورصّعنا أصابعه بالخواتم النفيسة فإذا ما استيقظ من نومه ووجد نفسه على تلك الحال ، فما ظنكم بما سيصنع !؟ وماذا سيعتقد !!..

قال أحد الأتباع : أعتقد أنه سينكر نفسه ..

وقال آخر : بل سيعتقد أنه فى حلم ..

وقال السيد : سنرى .. والآن احملوه وانقلوه إلى قصرى وضعوه فى أفخم حجـرة واغسلوا رأسه الخبـيث القذر بالماء المقطر الدافئ .. وإلى جـوار فراشـه صـفوا أشـهى أطبـاق الطعام والحلوى وأقـداح الشراب العذب.

ونمت الفكرة في عقل السيد .. بل واستفحلت .. فقال مستطردا :

– وأطلقوا البـخور لينبعث أريجهـا فى أرجاء الغرفة ، وأحـضروا فرقة موسيـقية لتعزف له أرق الأنغام حين يستيـقظ ، وليخاطبه كل منكم بلقب ياصاحب السمو " .

وعليكم بتنفـيـذ أوامره بـكل أدب واحتـرام .. وأخـبروه أنه كـان مجنونا وشـفى وأن " السيدة " زوجـته كانت تـنوح لمرضه وتبكى لعلته قـوموا بدوركم على خيـر وجه أيها السـادة وسنخرج من ذلك بمتعة عظيمة..

فقـال أحد الرجال : سنفـعل يا مولاى وسنـجعله يصـدق أنه كان دائما سيدا عظيما ..

السيد : إذن خذوه الآن .. وليتقن كل منكم دوره ..

حمل الرجال كريستوفر سلاى وخرجوا به إلى حيث سيجد نفسه عندما يستيقظ ..

وبقى السيد داخل الحانة يفكر فى تفاصيل خطته الجديدة وقد قرر أن يجعلها أكبر مزحة صادفها فى حياته ..

ودخل فى تلك اللحظة الخادم ليعلن له عن وصول بعض الممثلين المتجولين وهم عبارة عن فرقة مسرحية متجولة تسافر عبر البلدان والأقاليم لتعرض بعض المشاهد مقابل قروش قليلة ينعم بها عليهم المتفرجون من عامة الشعب.. ووجدها السيد فرصة سانحة كى يحبك بها خطته بشان الصعلوك النائم فأمر الخادم بإحضار هؤلاء الممثلين إليه فلما حضروا قال السيد لرئيسهم ؟.

– لقد حضرتم هنا فى الوقت المناسب ، فانا أستضيف الليلة فى قصرى أحد السادة النبلاء ، وأرغب أن تعرضوا تمثيلكم أمامه ، ولكن قبل هذا أحب أن أحذركم أنه شخص غريب السلوك وهو لم ير من قبل تمثيلية فى حياته فإياكم أن تجرحوا إحساسه أوتؤذوه لأن مجرد ابتسامة صغيرة منكم ستثيره ..

أجاب الممثل : اطمئن يا سيدى .. اننا قادرون على ضبط أنفسنا حتى لو كان هذا السيد أضحوكة كبرى ..

قال السيد : اتفقنا .. والآن اذهبوا مع خادمى إلى قصرى وانعموا

بكرم ضيافتى وحسن استقبالى .. ثم لتستعدوا للعمل ..

وصرف السيد الممثلين بعد أن أمر خادمه باستدعاء حاجبه برتليميو له ..

وذهب الخادم مع الممثلين .. وما هى الا لحظات حتى أتى برتليميو الذى وقف أمام سيده فى انتظار تعليماته ..

قال السيد لحاجبه :

– لعلك علمت بما أريد فعله يابارتليميو ..

أجاب الحاجب فى أدب : نعم ياسيدى .. إذا كنت تقصد ذلك الصعلوك الذى جاء به خدمك إلى القصر ..

السيد : نعم .. والآن أنا أريد أن أكلفك بمهمة خاصة فى هذا الموضوع ستنتحل دور زوجة هذا الصعلوك ..

صاح الحاجب فى دهشة : زوجة !! أنا !!؟.

السيد : نعم .. سترتدي أفخر مايناسب المرأة وستعامل هذا الصعلوك كما تعامل أى زوجة كريمة سيدها الشريف ، عليك أن تضمه فى حنان ، وتقبله فى إغراء وتبكى على صدره فرحا بشفائه من مرضه اللعين .. وإذا لم يكن لديك موهبة النساء فى البكاء حسب الطلب ، فعليك أن تأتى ببصلة تخفيها فى فوطة قرب عينيك .. هل فهمت دورك يا برتليميو ؟..

أجاب برتليميو وقد تحمس لهذا الدور :

- نعم يا سيدى .. ثق أن هذا الصعلوك سيستيقظ ليجد أمامه زوجة محبة حانية ..

.. كان أول ما شعر به كريستوفر سلاى ، حينما استيقظ هو جفاف حلقه وتيبس شفتيه فصاح ينادى ..

- بالله عليكم .. ناولونى نحاسا من البيرة الخفيفة .

ولشدة دهشته سمع صوتاً بجانبه يقول :

- أيرغب مولاى فى كأس من أفخر النبيذ الأسبانى المعتق ؟..

هب كريستوفر جالسا على الفراش فوجد مجموعة من الخدم مصطفة على جانبى سريره .. بعضهم يحمل ملابس وبعضهم يحمل طستا وأبريقا ، وآخرون يحملون الأطباق والصحاف ..

نظر كريستوفر بحيرة إلى كل هؤلاء .. وقد انتابته دهشة كبيرة حين تقدم إليه أحد الخدم مادا يده إليه بطبق مزخرف قائلا :

- أيرغب مولاى فى تذوق هذه الحلوى المجففة ..

صاح كريستوفر سلاى :

اسمى هو كريستوفر سلاى فلا يخاطبنى أحدكم بكلمة مولاى ، ثم إننى لم أتذوق النبيذ الأسبانى فى حياتى ، وكذلك أى نوع من الحلوى المجففة ..

ثم أخذ ينقل بصره بين الأتباع الواقفين من حوله وأضاف مستطردا :

- ولا تسألونى أية حلة ألبس اليوم فما عندى من حلل إلا بقدر ما عندى من أجساد ، وليس لدى من الجوارية إلا بعدد ما عندى من سيقان ولا أحذية إلا بعدد ما أملك من أقدام ، بل إن قدمى أكبر مما أملك من أحذية ، فأصابعها كثيرا ما تطل من بين الحذاء ..

ودخل السيد فى تلك اللحظة التى كان كريستوفر سلاى ينظر فيها إلى الأتباع المحتشدين من حوله يتبادلون النظرات فيما بينهم اندهشا وتعجبا لما يقول ..

وقال السيد للصعلوك الراقد :

ما هذا الذى أسمعه أيها الشريف العظيم المثبت ؟ .. وأى روح خبيثة تسكن جسدك يا سليل العظماء الأمجاد ؟..

ولم يكن أمام الصعلوك سوى الصياح قائلا :

- هل تريدون أن تدفعوا بى إلى الجنون ؟ .. أنا كريستوفر سلاى ابن سلاى العجوز .. أنا بائع متجول ، وعملت فترة حارساً للدببة ، والآن أنا سمكرى .. سمكرى فقير أيها السادة .. أنا سمكرى أكسب قوتى من هذه المهنة الحقيرة وليس لى مورد سواها ، أنا كريستوفر سلاى قروى معدم لا خبرة لى بسكنى القصور ولم يسبق لى أن كنت شريفا ، بل إننى لم أحلم بذلك ذات يوم .. صدقونى يا ساده ..

أنا كريستوفر سلاى .. أسألوا صاحبة الحان .. إننى مدين لها بثمن ما شربت من خمر اسألوها .. أمجنون أنا ؟..

قال أحد الخدم : نعم .. للأسف كنت مجنونا ..

وقال آخر : وهذا الذى يضنى زوجتك المحبة ويشقيها ..

وقال السيد : ولهذا ابتعد عنك الأهل والأصدقاء .. يا مولاى فكر فى نفسك ، وتذكر حقيقة أصلك الكريم ، هذا قصرك ، وهذا فراشك وهؤلاء كلهم خدمك المخلصون ، ألق بأوامرك فتجدها مطاعة واجبة التنفيذ أتريد للموسيقى أن تصدح ؟.. أتريد أن تركب جوادك المسرج ، أتحب الصيد .. أنت يا مولاى سيد ، وزوجتك من أجمل نساء الأرض حتى بعد أن سكبت عليك دموعها العزيزة ، وشحبت هيئتها حزنا عليك مازالت زوجتك يا مولاى أبهى نساء هذا الزمان ..

كان كريستوفر سلاى يسمع هذا الكلام وقد فغرفاه فى دهشة عظيمة وكان يقلب بصره بين الأتباع والخدم من حوله تاره ، وينظر إلى أرجاء المكان تارة أخرى .. وبعد فترة من الصمت قال :

– أسيد أنا ؟.. أأنا فى حلم عظيم .. كلا .. ما أنا بحالم .. فالرائحة الذكية تخترق فتحتى أنفى ، والموسيقى تأتى إلى أذنىّ حقيقة لا خيالا .. أنا أسمع وأرى وأتكلم إذن لست فى حلم .. ولست كريستوفر سلاى السمكرى الحقير .. بل أنا سيد .. سيد حقيقى ..

.. ومادمت سيدا .. فأنا آمركم أن تأتونى فورا بزوجتى .. وأيضا

بكأس من البيرة الخفيفة صاح أحد الخدم فى مزحة ..

مرحبا بعودتك ياسيدى .. لقد رد إليك عقلك بعد خمسة عشر عاما هى فترة جنون سيادتك ..

قال الصعلوك : خمسة عشر عاما !! ولكن ألم أقل شيئا طوال هذه السنين ؟..

الخادم : نعم يا سيدى .. كنت تتكلم عن طرد وضرب .. وعن صاحبة الحان التى تعاملك بصورة سيئة وتقدم إليك الخمر المغشوشة .. كما كنت تتحدث عن أشخاص حقراء ..

الصعلوك : أشكر الله على عودتى إلى صوابى ..

الخدم ( جميعا ) آمين ..

ودخلت زوجته فى تلك اللحظة وهى " برتليميو " ، متنكرا فى هيئة سيدة ..وقالت وهى تندفع إلى فراشه :

– مولاى وسيدى ، زوجى وحبيبى ..

الصعلوك : هل أنت زوجتى ؟..

بارتليميو ( متنكرا ) : نعم ..

الصعلوك : فلماذا تناديني بمولاى أو سيدى ..

بارتليمو : أنت سيدى ومولاى ، وما أنا إلا خادمتك المطيعة لأمرك .

نظر الصعلوك إلى السيد وقال متسائلا :

- وماذا .. أدعوها ..؟..

السيد : سيدتى .. هكذا يدعو السادة زوجاتهم ..

تحول الصعلوك إلى زوجته المزعومة قائلا :

- سيدتى .. يقولون إننى نمت نوما دام خمسة عشر عاما . أهذا صحيح؟..

الزوجة : نعم .. وقد هجرتنى طوال هذه الأعوام كلها ..

وفهم الصعلوك مغزى كلمات زوجته .. فقال متحاشيا النظر للأتباع الواقفين ..

- إذن .. اصعدى إلى سريرى .. و ..

فقالت السيدة معتذرة : يا سيدى الكريم ..دعنى أتوسل إليك أن تعفينى ليلة أو ليلتين من هذا الأمر .. أو حتى إلى نهاية اليوم ، فهكذا أمر أطبائك مخافة أن يعاودك مرضك القديم .. فقد أوصوا أن ابتعد عن فراشك إلى حين ..

الصعلوك : مع أنه يشق على ذلك .. فلا مانع لأنى أخشى أن أضيع مرة أخرى فى عالم الأحلام ، ودخل فى تلك اللحظة أحد الخدم قائلا:

- مولاى .. إن هناك فرقة تمثيلية سمعت بنبأ شفائك فجاءت

لتعـرض أمامك مسرحـية هزلية أوصـى أطباؤك بهـا حتى يزول الغم الذى أفسـد دمك طوال فترة مرضك فـالحزن يولد الجنون ولا اظنك فى حـاجة إليـه .. فقـد خبـرته طويلاً ..والفـرح يطـيل العمـر .. هل أدخلهم ..!!؟.

الصعـلوك : نعم .. أدخلهم .. تقول إنهـا مسـرحية هـزلية ؟.. إذن سيرقصون ويلعبون أليس كذلك ؟.

فقالت الزوجة :

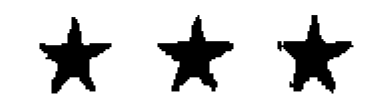
لا يا سيدى .. إن المسرحية الهزلية أمتع من كل هذا ..

الصعلوك : لا أفهم !!..

السيدة : إنها نوع من القصص ..

الصـعلوك : أه .. قصـة .. تعالى يـا زوجتى بجـانبى .. أقصـد يا سيدتى كى نشاهد معا تلك القصة ..

ودخل المـمثلون إلى الغرفة وبدأوا فى تمثيل مسرحيتهم الهزلية .. وكـان عنوانها " ترويـض الشرسـة " .. تلك التى سنعـرضهـا فى صورة رواية لم نغفل حدثاً منها ، ولم نضف إليها سوى ما يقتضيه السيـاق من كلمات وعـبارات تربط الأحـداث بعضـها ببعـض وتمهد للحوار والأقوال مع الحفاظ على أسلوب شكسبير المتميز فى الوصف والتحليل ..



# الفصل الأول

رست السفينة على شاطئ بادوا تلك المدينة الإيطالية الشهيرة ، مهد الفنون والآداب والتى يقصد طلاب العلم مدارسها ومعاهدها للتزود بالمعرفة فى شتى مجالاتها .. وبدأ الركاب ينزلون إلى برها ليذهب بعد ذلك كل إلى وجهته ..

ومن هؤلاء كان لوسنشيو الشريف الذى جاء إلى بادوا قادما من بلدته الصغيرة بيزا بصحبة خادمه الأمين ترانيو وكان أول ما لاحظه الغريبان تلك الحركة الدائبة والضجة التى هى دائما من خصائص الحياة فى المجتمعات الكبيرة ..

وبادر لوسنشيو تابعه بالحديث قائلا :

– هل رأيت باترانيو !؟ .. هذه هى الحياة .. ما أجمل بادوا يا صديقى ، وما أسمى الهدف الذى جئت من أجله إليها .. حقا إن هناك فرقا كبيرا بين بلدتنا الصغيرة بيزا وبين تلك المدينة الجميلة نحن كمن تركنا بركة ضحلة ليغمرنا المحيط ..

وعقب ترانيو على كلمات سيده قائلا : إننى أشعر بمثل ما تشعر

وأفهم رغبتك فى التعليم ولكن إخلاصى وحبى لك يحتمان علىّ أن أزودك ببعض النصائح ..لك أن تأخذ بها ولك أن تعتبرها مجرد كلام لا معنى له فأجابه لوسنشيو : تكلم يا صديقى .. فإننى دائما أحترم رأيك وألمس صوابه ..

قال ترانيو : أوصيك بعدم التمادى فى دراسة الفلسفة فهى أما ستجعل منك حكيما رائعا أو معتوها أبله ، أما الرياضيات وعلوم ماوراء الطبيعة فلك أن تقبل عليها ولكن بقدر لأن تلك العلوم لا تبعث اللذة فى النفس ولكننى أوصيك بالتبحر فى علوم البلاغة لأنها تكسب لسانك حلاوة وحديثك طلاوة ، وتعلم المنطق فيه يمكنك أن تخلب لب سامعيك وإعجاب لحديثك .. والموسيقى يا سيدى .. إنها تنعش النفس وتزيل الهم ولا تنس الشعر فهو نزهة القلوب والعقول .. ووليمة الحياة السعيدة ..

ضحك لوسنشيو لحديث تابعه الظريف وقال : رباه .. ما أبدع نصحك ياترانيو ..

ثم ربت على كتفه قائلا : لقد أرسلت بيوندللو قبلنا كى يستأجر لنا مسكنا لائقا . . فلا شك أن أيامنا هنا ستنجب معارف وأصدقاء ..

وبينما هما يتحادثان إذ اقترب من موضع وقوفهما مجموعة من الناس توحى هيئتهم بالنبل والثراء ، وكانوا يتحادثون بصوت مرتفع وكأنهم يتشاجرون أو على الأقل مختلفون فى أمر ما وكان أكبرهم

سنا وهو شيخ ذو وقار يقول بصوت عال وهو يشير إلى فتاتين جميلتين بجانبه :

– لا تحلفوا على أيها السادة ، ولا تسببوا لى حرجا بالغا بألحاحكم علىّ فأنتم جميعا تعرفون قرارى الذى لا أعتزم إطلاقا التراجع عنه .. وهو إننى لن أزوج أبنتى الصغرى قبل ابنتى الكبرى ..

وكان يوجه حديثه إلى شابين فى مقتبل العمر تبدو على ملامحهما سمات الشرف والسيادة ..

وكان المتحدث هو باتيستا أحد أعيان بادوا ، والفتاتان بصحبته هما كاثارينا وبيانكا ابنتيه والشابان الوجيهان هما هورتنشيو وجريميو اللذين يتنافسان على حب بيانكا الابنة الصغرى ويسعيان إلى خطبتها بإلحاح .. وكان ما أوضحه الأب من رفضه اقتران الصغرى بخطيب قبل الكبرى .. واصل الأب باتيستا حديثه قائلا :

– اسمعا .. من كان منكما يهوى كاثارينا فإنى أرحب به ، وأسمح له أن يغازلها أمامى والآن ..

فقال أحد الشابين : يغازلها !؟ قل ينازلها .. لا أيها الشيخ الموقر إنها أشرس من أن أحتملها لذا أتنازل عنها طائعا للسيد هورتنشيو عسى أن يجد فيها ما يعجبه أو تجد فيه ما يعجبها ..

.. كانت كاثارينا الابنة الكبرى تنظر إلى جريميو وهو يقول هذا

الكلام عنها نظرة صـارمة .. أجبرته على التخـادل وقطع كلامه .. ثم توجهت كاثارينا إلى والدها قائلة :

– إنى أتعجب منك يا سـيدى .. هل تريد أن تجعل منى أضـحوكة أمام هؤلاء الأدنياء !؟.

فاحتد هورتنشيو : أدنياء !!؟ ..ويحك يا فتاة .. كيف تجرؤين على وصفنا بالأدنياء .. أنت بذلك ستبقين بلا زواج إلى أبد الأبدين ..

فنظرت إليه كاثارينا بأحتقار قائلة :

أؤكد لك يا سيـدى أنه لو كان كل الرجال فى مثل بـلاهتك ومقدار سخافتك فإننى أجد فى حياة العزوبية جنة تبعدنى عن أمثالك ..

صرخ هوتنشيو : يا إلهى .. تلك شيطانة أو أكثر ..

كان لوسنشـيو وترانيو يستـمعان إلى هذا الحديث الغـريب وهما يتعـجبان من سـلاطة لسان الابنة الكبرى الـتى كانت تلقى بقذائفـها اللفظية دون مراعاة ودون تحفظ ، حـتى والدها الذى كان يتقبل منها ما تقول وكأنه اعتاد على ذلك ..

همس ترانيو : سيدى .. هل تسمع ما أسمعه ..

وأجابه لوستشيو : اسكت ياترايـنو .. فأنا بدأت أعجب بهذه الفتاة التى تقول رأيها بمثل هذه الصراحة ..

فقـال ترانيو : صـراحة !!؟ .. هذه الـفـتاة إما مـجنونة أو جـبارة عنيدة ..

لوسنشـيو : ولكنى أرى فـيـها مـا لا يراه الجمـيع .. اسكت الآن ودعنا نتابع أحاديثهم الغريبة ..

سمع لوسنشيو الرجل العجوز باتيستا وهو يقسم مرة أخرى أنه لن يزوج ابنته الصغرى قبل الكبرى وأنهى قسمه بأن أمر ابنته بيانكا ( الصغرى ) بالرجوع إلى منزلهم قائلا :

- ولكى أثبت إصرارى على رأى هذا .. اذهبـى يا بيانكا إلى المنزل وإياك أن تبـرحيـه ولا تظنى بذلك أن حبى لك قـد نقص ، أو أننى لا أبغى سعادتك .. ولكن حتى يعـرف هذان النبيلان أنه لا أمل لأحدهما فى خطبتك إلا بعد خطبة كيت ( هكذا كان يدلل كاثارينا ) ..

فأجابته بيانكا بأدب: سمـعا وطاعة يا أبى .. سألزم الدار وأقضى الوقت فيه حبيسة بين كتبى والآتى الموسيقية ..

ثم تحولت إلى أختها كيت قـائلة : فليكن سخطى مصدر رضاك يا أختاه ، وليكن سجنى سببا فى راحتك ..

فأجـابتهـا كيت : ياك من دمـية صـغيـرة جميلـة .. إن قرار أبى بضرورة زواجى أولا هو قرار يخصه ولا ذنب لى فيه ..

كـان الخطيـبان جـريميـو وهورتنشـيـو ، ينظران إلى بيـانكا فى إشفاق.. وقال جريميو مخاطبا باتيستا :

- لماذا تسجن هـذا الملاك يا سيد باتيـستا !؟ .. أمن أجـل شيطانة الجـحيم تلـك ، هل يجب عليك أن تحـمل بيانكا الـوديعة وزر لسـان أختها السليط ..

فأجاباه باتيستا : هذا قراری الذی لا رجعة فيه ، اذهبی الآن يا بيانكا.

وابتعدت بيانكا ذاهبة إلى بيتها كما أمرها والدها ، أما هو فقد قال للرجلين :

– ستلزم بيانكا الدار وسأحضر لها أبدع الأساتذة وأدفع لهم جيدا فإننى أعرف كيف أكون كريما فی سبيل تنشئة أولادی نشأة جيدة .. فإذا كنت تعرف يا هورتنشيو .. وأنت يا جريميو من يليق بتعليم بيانكا .. فأتونى به سريعا والآن .. اسمحا لی بالانصراف فلدی بعض الأعمال .

ثم أشار إلى ابنته كيت قائلا : وأنت أيضا يا كيت .. هيا ..

ثم ذهب بصحبتها إلى شأنه .. وبقى هورتنشيو وجريميو الذی قال بمجرد أن ابتعدت كيت ..

– أذهبی إلى أم الشيطان أيتها المتعجرفة البذيئة ..

ثم التفت إلى هورتنشيو قائلا :

– اسمع يا هورتنشيو .. إن كلينا يتصارع على الفوز ببيانكا الجميلة وأنا أسمی ذلك منافسة شريفة بين رجلين نبيلين ، ولكن علينا أن نحقق أمرا واحدا نضمن به أن يظل قلب بيانكا مفتوحا لواحد منا ..

أجابه هورتنشيو بدهشة : وما هو هذا الأمر ؟..

استطرد جريميو : لابد أن نـجد لأختها كيت زوجا ..

فأجابه هورتنشيو بسـرعة : زوجا .. بل قل شيطانا .. فهى بالرغم من ثراء والدها لن تجد من يجرؤ على طلب يدها ..

فقال جريميو : ولكن هناك من يرضـى بالمال ، ويتغاضى عن العيوب فى سـبيل ذلك .. ومـا دمنا كلانا يهـمنا مصـلحة بيـانكا فلنسع إلى البحث عن هذا الزوج ..ولنبدأ من الآن ..

فأجابه هورتنـشير : فليكن .. وإن كان الأمل فى العـثور على مثل ذلك المغفل ضعيفاً للغاية ..

ثم ابتعـدا .. وبقى لوسنشيو وترانيـو وحدهما .. كان لوسـنشـيو شاردا ساهما .. مـما جعل تابعه يحاول أن ينبهه قائلا :

- سيد لوسنشـيو .. سيد لوسنشيو .. أما زلت هنا !؟..

أفاق لوسنشـيو من ذهوله.. وقال :

-لقد أسرتنى تلك الفتاة المدعوة بيانكا ..

ترانيو : ما معنى أسرتك ؟..

استطرد لوسنشيو : تعلق بها قلبى .. تلك الجميلة البريئة ..

فقـال ترانيو : لو كنت مـتعلقا بهـا .. فلابد أن تضع فى حـسابك هذين الرجلين اللذين يجـدان فى حبها .. ولابد أن نضـع فى حـسابك أيضـا أخـتها الشـرسة اللعينة والتى أقـسم والدها بأن يسجن أختـها حتى تتزوج تلك ..

أجابه لوسنشيو : إنه والد قاس .. ولكن هل سمعته وهو يقول إنه سيحضر لبيانكا أساتذة ماهرين ليعلموها ..

ترانيو : نعم .. سمعته يقول هذا ..

لوسنشيو : حسنا .. ما رأيك أن أقوم أنا بدور المعلم المطلوب !؟..

ترانيو : ولكن من ذا الذى سيحل محلك ويقوم بدورك فأنت تعلم أن واجباتك كنبيل وابن بار لڤنسنشيو ( والد لوسنشيو ) أن تستقبل ضيوفك وتكرم أصدقاءك ..

صمت لوسنشيو لفترة وقد نبهه تابعه إلى ما كان غائبا عنه .. ولكن سرعان ما تفتقت فى ذهنه فكرة رآها سديدة فقال لتابعه :

وجدتها .. لا أحد يعرفنا هنا يا ترانيو ، وعلى ذلك ستكون أنت السيد وسأكون أنا رجلا عاديا .. وإذا ما وصل بيونداللو فسيكون فى خدمتك أنت ..

فأجابه ترانيو : حسنا .. مادامت تلك إرادتك ، وما دمت أنا ملزماً بطاعتك ، فإنى أقبل أن أكون أنا لوسنيشو لأنى شديد الحب للوسنشيو .

فقال لوسنثيو : فليكن الأمر هكذا .. لابد أن أنال مناى من تلك الفتاة التى طلعت على فجأة فأسرت عينى بجمالها ..

وبينما هما فى ذلك الحديث جاء بيونداللو ليصطحبها إلى حيث مستقرهما الجديد فى بادوا .. فلما لمحه لو ستشيو قال له :

- أين كنت .. لقد مضت علينا ساعات فى انتظارك ..

فأجابه بيوندللو : كنت أعد العدة لاستقبالك يا سيدى فى قصرك الجديد فقد كان على أن أشرف على الخدم وهم يفرغون الحقائب ويرتبون الغرف كما يكون القصر مهيأ لاستقبالكم ..

لوسنشيو : هيا بنا إذن .. وفى الطريق سيكون لنا معك حديث يا بيوندللو ..

وغادر الثلاثة المكان ، ذاهبين إلى حيث مقر إقامة لوسنشيو فى بادوا وفى طريقهم شرح لوسنشيو تفاصيل خطته الجديدة ، وأوصى بيوندللو بتنفيذ كل أوامر ترانيو بصفته الجديدة ، كسيد للقصر وحذره مشدداً عصيان أوامره أو عدم الالتزام بتعليماته ..

.. كما استقبلت بادوا لوسينشيو النبيل القادم من بيزا .. أستقبلت أيضا بتروشيو الذى أتاها قادما من موطنه ڤيرونا ..وقد أتى إليها فى زيارة لأصدقائه القدامى فيها .. فما أن وطأت قدماه الشاطئ حتى أمر تابعه جروميو بتأجير عربة تقلهما إلى منزل هورتنشيو صديقه الحميم ، فلما نزلا منها أمام المنزل المقصود أمر بتروشيو تابعه الأحمق بقرع الباب فقال جروميو :

- اقرع الباب !؟ وهل آذاك الباب فى شئ ؟..

فقال بتروشيو : أيها الأحمق اقرع الباب .. أى اطرق عليه بيدك حتى يعرف من بالداخل أن هناك من يقف خلفه ..

فقال جروميو : فهمت .. أدق الباب .. حسنا سأدقه .. ها أنا أدقه.

ودق جروميو على الباب بقبضة يده ، وما هى الا لحظات قليلة حتى فتح الباب وظهر هورتنشيو على عتبته ، وما أن لمح القادمين حتى صاح مرحبا ..

- بتروشيو صديقى الحميم .. جروميو صديقنا الضاحك .. كيف حالكما !؟.

ثم تلقاهما مرحبا وأدخلهما داره وهو يقول :

- مرحبا بكما فى منزلى .. أى رياح طيبة قذفت بك إلينا يا بترشيو ؟

فقال بتروشيو وهو يجلس على المقعد الذى قدمه له هورتنشيو :

- إنها الريح التى تدفع بالشباب ليضربوا فى الأرض باحثين عن حظهم بعيدا عن الأوطان لقد مات والدى وها قد جئت إلى بلدتكم بحثا عن زواج يوفقنى الله فيه ..

صاح هورتنشيو : زواج .. هل تبحث عن الزواج يا صديقى .. يالها من مصادفة ..

سأله بتروشيو متعجبا : وأية مصادفة فى ذلك ؟..

أجاب هورتنشيو : سأدلك على زوجة .. غنية .. بل غنية جدا ولكن..

سأله بتروشيو بلهفة : ولكن ماذا ؟..

قال هورتنشيو مترددا : لا ، أنك صديقى ..وأنا لا أرضى)لك ..

بتروشيو : ترضى لى ماذا ؟..

هورتنشيو : إن الزوجة التى أرشحها لك شرسة مشؤومة ؟..

فقال بتروشيو : أليست ثرية ؟..

هورتنشيو : بالغة الثراء ..ولكنها أفعى سامة .. بذيئة اللسان ، حادة الطباع !!..

تراجع بتروشيو فى مقعده .. ثم قال :

- إن الثراء هو غايتى الكبرى يا صديقى العزيز .. وهو النغمة التى أضرب عليها فى نشيد الزواج .. لتكن الزوجة المقترحة فى دمامة القردة ولتكن فى البشاعة نظير الوحوش بل فلتكن فى كبر سن أهرام مصر .. أو فى شراسة زوجة سقراط .. بل لو كانت أشد صخبا من البحار الهادرة .. ما غير ذلك من الأمر شيئا .. لقد جئت خصيصا إلى بلدكم لأتزوج الثراء فإن كانت الفتاة التى تعرضها على تحقق لى هذا الغرض فأهلا ومرحبا بها ..

وتدخل جروميو فى الحديث قائلا موجها كلامه إلى هورتنشيو ..

- اسمع ما يقوله لك سيدى بتروشيو جيدا . . فهو يصارحك بمقصده وبما يجول فى خاطره .. أعطه من الذهب ما يكفيه ثم زوجه دمية خشبية أو عروسا معدنية ، فهذا لا يهمه ، أعطه زوجة عجوزاً

عرجاء لا يتبق فى فمها سنا واحدة .. فهذا لا يهمه ، أعطه امرأة مريضة بأمراض كفيلة بالقضاء على خمسين حصانا .. فهذا لن يضيره فى شئ .. المهم المال .. المال ثم المال ..

.. شعر هورتنشيو بأنه يستطيع أن يفاتح صديقه بتروشيو فى موضوع الزواج من كيت أخت بيانكا بصراحة وبطريقة مباشرة مادام قد اتضح له أن شرط الثراء هو كل ما يهم بتروشيو فى موضوع الزواج هذا وهو شرط متوافر بصورة كبيرة عند كيت ..

قال هورتنشيو : إن ما أرشحها للزواج لك هى شابة جميلة .. نالت من التربية الجيدة المستقيمة ما يجعلها من فضليات النساء ولكن بها عيب واحد .. بل مجموعة من العيوب في الحقيقة .. فهى عنيفة إلى درجة لا تطاق .. سليطة اللسان إلى حد كبير.. بل إن صخبها وشراستها ووقاحتها تتجاوز كل وصف ممكن .. والصراحة .. إننى حتى لو كنت فقيرا أتسول الطعام ما تزوجتها حتى لو أعطونى فى سبيل ذلك منجماً من الذهب ..

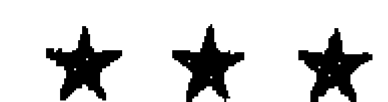
أجابه بتروشيو بهدوء : مهلا يا هورتنشيو .. فأنت لا تعرف سحر الذهب وما يعنيه عندى .. اذكر لى اسم أبيها .. سأتقدم إليه لأخطبها حتى لو كان صخبها أعنف من الرعد ..

فقال هورتنشيو أبوها هو باتيستا مينولا وهو رجل كريم لطيف المعشر ، أما ابنته المقصودة فهى كاثارينا وينادونها بـ كيت وهى أشهر فتاة فى بادوا كلها ..

بتروشيو : أعتقد أننى أعرف والدها .. أما هى فلم يسبق لى معرفتها .. والآن .. لقد تعلق بها قلبى حتى من قبل أن أراها .. وها أنا وقد جئت من فورى إلى هنا بعد رحلة طويلة مضنية ، إلا أننى أتلهف إلى رؤية من تدعونها كاثارينا أو كيت .. فيها بنا إليها الآن ..

سأله هورتنشيو بدهشة : ألا تستريح ؟..

فقال بتروشيو على الفور : أستريح .. وهل سأعرف الراحة بعد ما سمعته عن ثروتها .. إن رائحة الذهب تذهب النوم من عينى ، والحديث عن الثروة يجعل جسدى فى غير حاجة إلى الراحة فهلم بنا إليها ..



# الفصل الثانى

كان منزل السيد باتيستا مينولا فى بادوا مقسما إلى معسكرين .. معسكر صلف عنيد وتمثله كيت وحدها ..

أما المعسكر الثانى فهو المغلوب على أمره ويمثله السيد باتيستا نفسه وابنته الوديعة بيانكا ومعهما خدم المنزل ..

.. والآن .. بيانكا الصغيرة وقد أوثقت كيت يديها وأجلستها على مقعد وأخذت تستجوبها ..والمسكينة تستعطفها ..

كانت بيانكا تقول باكية :

– لا يا أختى الطيبة ، لا تظلمينى ولا تظلمى نفسك .. أنت تعاملينني معاملة الخدم ومع ذلك فأنا أطيعك لأننى تربيت على فضيلة طاعة من هم أكبر منى سنا ..

وأجابتها كيت بشراسة : أقرى .. اعترفى .. مَنْ من كل خطّابك الذى تفضلينه .. أهو هورتنشيو ذلك الأحمق ؟!..

ردت بيانكا : إذا كنت تميلين إليه فأنا أتنازل لك عنه وأنا راضية ..

كيت : أيتها الكاذبة .. ألا تحبين هورتنشيو إذن .. ومارأيك فى جريميو !.. إنه ثرى .. هه ..

مرة أخرى أجابت بيانكا : أهذا هو سبب غضبك لى !؟..

صفعتها كيت على وجهها بقوة .. اصمتى .. أأحسدك بسبب رجل مثل صاحبك جريميو ؟.. إنه ليس مطمعا إلا لفتاة بلهاء مثلك ..

ودخل باتيستا على صوت بكاء بيانكا فلما رآها موثقة اليدين وكيت تضربها بقسوة أسرع يمسك ذراعها الممتدة استعدادا لصفعة أخرى قائلا :

– مهلا .. مهلا .. ما كل هذه الوقاحة يا حقيرة .. ياروح الشيطان لماذا تؤذين من لم تؤذيك فى حياتها !؟ قولى لى متى آلمتك المسكينة بقول أو فعل ؟..

ثم أخذ يحل وثاق بيانكا وهو يواسيها قائلا :

– لا تغضبى يا ابنتى .. ولا تبكى لأن بكاءك لن يجدى فى مصيبتنا هذه .. إن كيت أختك قدرنا ومن ذا الذى يستطيع أن يهرب من قدره؟.

ثم ربت على كتفها وطبع قبلة أبوية حانية على جبهتها وأمرها بالخروج من الغرفة والعودة لكتبها وآلاتها الموسيقية حيث تجد السلوى والتسلية فى هذا المنزل المشتعل نارا ..

واستدار إلى كيت .. وأنت أيضا .. اذهبى إلى حجرتك .. أو اخرجى .. أو افعلى ما تشائين .. المهم أن تبتعدى عن ناظرى ..

وخرجت كيت وهى تتمتم بكلمات غير مفهومة ، وإن كان والدها على يقين بأنها كانت تسب وتلعن ..

فلما أصبح وحده تهاوى على أحد المقاعد واضعا كفيه على رأسه وقال مستجيرا :

- هل عانى أحد قبلى ما أعانى من أحزان ..؟ هل بلى أحد بمثل مصيبتى ؟.. أى ذنب اقترفته فى حياتى كى يكون هذا جزائى ؟.. أى ذنب ؟

وبينما هو على تلك الحالة إذ دخل عليه أحد الخدم قائلا : سيدى هناك من يطلبك ..

انتبه باتيستا على صوت الخادم .. فسله .. من ؟..

قال الخادم : إنه السيد جريميو .. وهناك سيد آخر لا أعرفه ..

باتيستا : فليتفضلا بالدخول ..

ودخل جريميو .. ومن خلفه بتروشيو وتصافح كل منهما .. ثم تقدم بتروشيو من باتيستا قائلا : سيدى .. قبل أن أعرفك بنفسى هل تسمح لى بسؤال صغير ..

فأجابه باتيستا بدهشة : تفضل ..

بتروشيو : ألك ابنة تدعى كاثارينا ؟..

أجابه باتيستا وقد زادت دهشته : نعم يا سيدى ، لى ابنة اسمها كاثارينا ..

انحنى بتروشيو بأدب أمام باتيستا ثم اعتدل قائلا :

– إذن .. اسمح لى أن أعرفك بنفسى .. أنا شريف من ڤيرونا وقد سمعت عن جمال وذكاء ابنتك كاثارنيا .. لذا جئتك خاطبا .. فهل ستردنى خائباً !؟..

ردد باتيستا باستغراب .. خاطبا .. هل تقصد أنك تريد الزواج بكاثارينا ؟!!..

أجاب بتروشيو : نعم ..

فغر باتيستا فاه فى دهشه .. وظل فترة مترددا فى إجابة سائله .. ثم مالبث أن قال :

– ولكن .. من أنت أيها السيد !؟.. بأى اسم أدعوك ؟..

أجابه بتروشيو : اسمى بتروشيو .. وأنا ابن أنطونيو الذى تعرفه إيطاليا كلها ..

فقال باتيستا مرحبا : نعم .. أنا أعرف السيد أنطونيو جيدا .. مرحبا بك يا بنى ولكن .. ولكنى .. ولكنى أعتقد أن طباع ابنتى كاثارينا قد لا تلائم طبعك النبيل .. لذا ..

قاطعه بتروشيو : هل تقول ذلك لأنك لا تريد مفارقتها بالزواج ؟.. هذا هو حال الآباء المحبين دائما ولكنها أيضا سُنة الحياة ..

باتيستا : ليس الأمر كذلك .. أنا فقط أقول إنها حادة الطباع قليلا و..

قاطعه بتروشيو مرة أخرى : حادة الطباع ؟.. أعتقد يا سيدى أنك تقصد أن تقول صريحة..

وأضاف باتيستا .. و .. مشاكسة ..

بتروشيو : لا يعيبها ..

باتيستا : وسليطة اللسان ..

بتروشيو : بل قل مدللة ..

وهكذا كان باتيستا يسرد على مسامع بتروشيو صفات كاثاريتا القبيحة وهذا يؤلها تأويلا حسنا ويغيرها على نحو غريب ..

وتدخل جريميو فى الحديث قائلا لبتروشيو :

– لقد أعلنت رغبتك يا سيدى .. والآن اترك لى المجال لأتحدث قليلا..

أجابه بتروشيو بأدب تفضل ..

وجه جريميو كلامه إلى باتيستا ..

– والآن يا سيدى باتيستا ما رأيك فى إعلان خطبتى لابنتك بيانكا ..

هز باتيستا رأسه مرددا : أنت تعرف الشرط ياسيد جريميو .. لازواج للصغرى قبل الكبرى .. هل على أن أعيد هذا القول على مسامعك ألف مرة فى اليوم !؟..

جريميو : ولكن .. هذا السيد ( وأشار إلى بتروشيو ) .. يرغب فى خطبة كاثارنيا وبذلك تكون المشكلة قد انتهت ..

فأجابه باتيستا : ومن قال إنه سيرضى بها بعد أن يعرف عنها ما يعرفه الجميع ؟.. ومن قال إنها لن تطرده شر طرده فيندم على دخول بيتى أشد الندم ذلك السيد النبيل ..

ثم وجه حديثه إلى بتروشيو قائلا :

– بخصوص طلبك الزواج من ابنتى يا سيد بتروشيو فإننى أرى أن تفاتحها بنفسك فى هذا الأمر .. أما أنا فليس لدى الجرأة فى ذلك ..

قال بتروشيو : أعتقد أنها لن ترفضنى .. فأنا الوارث الوحيد لوالدى الذى تعرفه جيدا .. ولكن هل لى أن أسألك ما هو مقدار ما ستهبه لابنتك يوم زواجها ؟..

أجاب باتيستا : إنها تملك الآن عشرين ألفا من الجنيهات الذهبية أو سترث بعد وفاتى نصف ممتلكاتى ..

فقال بتروشيو : وسأهب لها كل ثروتى بعد وفاتى أنا أيضا .. فقد يمتد بها الأجل بعدى فلا تعانى فى ترملها ..

باتيستا : أنت تتكلم فى تفاصيل لا قيمة لها الا بعد أن ترضى بك ..

بتروشيو : إن هذا الأمر هين .. أؤكد لك يا سيدى أننى حاد الطبع بقدر ما هى مغرورة عنيدة وإذا كانت كالنار .. فأنا كالريح التى تذهب بهذه النار ربما حولها .. إن ابنتك مادام هذا وصفها سوف تخضع لى .. هذا ما أؤكده لك ..

أجابه باتيستا متشككا : وفقك الله يا بنى ..

وبينما هما فى هذا الحديث إذ سمعا جلبة آتية من غرفة كاثارينا .. ثم فتح بابها وخرج منه رجل يجرى وهو يمسك رأسه ويصيح :

– الملعونة .. المتوحشة ..

وسأل جريميو : من هذا الرجل ؟..

أجاب باتيستا : معلم الموسيقى .. ترى ماذا حدث له ..

أقترب المعلم منهما وهو يصرخ متألماً وقال لباتيستا :

– هل تريد أن تعلم ابنتك الموسيقى !؟.. أخطأت يا سيدى .. يجب أن تعلمها فن القتال واستعمال السلاح .. إن الحديد يقوى على احتمالها أما العود .. فلا ..

باتيستا : ماذا حدث منها ؟..

قال المعلم وهو يكاد يبكى :

– كنت أعلمها ضبط الأوتار فإذا بها تصيح قائلة : سأعلمك ضبط الأوتار .. وسأريك الخبط والضبط ثم ضربتنى بالعود على رأسى

ولم تكتف بذلك بل أخذت تكيل لى الشتائم الشنيعة وكأنها ما تعلمتها إلا لترمينى بها..

كان بتروشيو يستمع إلى شكوى المعلم مبتسما ثم قال :

– أقسم بأن هذه المرأة تفيض بالحيوية .. لقد أزداد حبى لها عشرة أضعاف الآن ..

أخذ باتيستا يربت على كتف المعلم ويمسح موضع الضربة على رأسه ثم قال :

– لا تحزن .. وتعال لتعلم أختها الصغرى فهى وديعة هادئة ..

ثم تحول إلى بتروشيو قائلا : وأنت انتظر هنا .. سارسل كاثارينا إليك ..

ثم خرج باتيستا والموسيقى وتبعهم جريميو .. وبقى بتروشيو وحده وأخذ يحدث نفسه قائلا :

– يبدو أنها فعلا كما يصفون ..ولكن مهلا .. فسأحاورها وأشاغبها حتى ترضخ لمشيئتى ..

.. ثم جاءت كاثارينا وقد بدت على هيئتها آثار حربها الضروس مع الموسيقى المسكين .. فبادرها بتروشيو قائلا :

– سعدت صباحا ياكيت .. هذا هو اسمك كما أعتقد ..

أجابته كيت بجفاء : بل اسمى كاثارينا ..

بتروشيو : أنت كاذبة .. اسـمك كيت ولا أكثر من كيت ولا أقل من كيت .. كيت الحلوة .. كيت الملعونة أحـيانا .. ولكنك كيت وأجمل كيت فى هذا العالم ..

وصاحت به كـيت : ما هذا النوع من الحديث أيهـا الأحمق !؟.. هل أنت مجنون طليق ؟.. أم أبله بلا عقل ؟..

أجابها بترشيو بهدوء : إذا كنت تصفين من يحبك بالجنون .. فهذا فى غير صالحك.. وأن كان عاشقك بلا عقل فالعيب فيك وليس فيه ..

صرخت كيت فى وجهه :

– من أنت .. وماذا تريد ؟ ياعـديم الكرامة يا من تجد متـعه فى أن يسبك أحد .. ياثقيل يا سخيف !..

وبهدوء أكثر قال بتروشيو :

– أنا من جـئت لأطلب يدك من والدك .. أنا مـن أرغب فى الزواج منك ..

نظرت إليه كيت باحتقار ثم قالت :

– أنا .. أتزوجك انت ؟.. وهل يطمع الدب فى الزواج بغزالة ؟..

قال بتـروشيو : أشكرك على وصـفك لى بالغزال .. ولكنه الحب .. أيتها النحلة ..

كيت : أنا نحلة !؟ حسنا .. أحذر لسعاتى إذن ..

بتروشيو : لا تخافى على .. فسأنزع إبرتك ..

كيت : أنت لا تطاق ..

برتوشيو : وأنت غادة جميلة ..

كيت : تأدب ..

ثم صفعته صفعة قوية على خده .. تلقاه بتروشيو فى هدوء وقال :

- إياك أن تفعلى هذا ثانية ..

كيت : ماذا .. هل ستلطمنى .. هل تضرب امرأة !؟.. وتقول عن نفسك شريف !؟.. هه ..

بتروشيو : أنا شريف ابن شريف .. أرجوك لا تتهجمى هكذا ..

كيت : هذه عادتى كلما رأيت عقرباً ..

بتروشيو : ولكن لا يوجد عقارب هنا ..

كيت : بل يوجد ..

بتروشيو : أين ؟..

كيت : لو كانت عندى مرآة لأريتك إياه ..

بتروشيو : ويحك .. هل تعنين وجهى ؟..

كيت : فهمت أخيرا ؟.. مع أن البلهاء لا يفهمون ..

وقبض بتروشيو على ذراعها ، فحاولت التملص منه ، ولكنه جذبها نحوه قائلا :

– أنصتى إلى يا كيتى .. ولا تحاولى الإفلات ..

فقالت وهى تحاول تخليص نفسها :

– دعنى أذهب ..

بتروشيو : لا .. حتى تسمعى ما سأقوله .. يقولون إنك فظة عبوسة ولكننى أراهم كاذبين .. فأنت لطيفة ، سمحة ، غاية فى الأدب ..

ثم نزل يدها واستطرد :

– يقولون عنك إنك مشوهة ناقصة ،وأنا لا أرى أمامى إلا هيفاء معتدلة ..

صاحت به كيت : اصمت أيها الشقى .. من علمك هذا الكلام ؟..

بتروشيو : أمى ..

كيت : يا لها من امرأة ذكية ، لكنها للأسف ولدت معتوها ..

بتروشيو : بل ولدت حكيما ..

كيت : نصيبك من الحكمة قليل للأسف !!.

بتروشيو : دعينا من هذا الكلام .. لقد اتفقت مع أبيك على الزواج بك .. وقد اتفقنا على كل التفاصيل وسواء رضيت أو لم ترضى فإنى

سأتزوجك .. اسمعى يا فتاتى .. إنى لأقسم بهذا النور الذى يشع من وجهك بأنك لن تكونى زوجة لرجل غيرى .. فإنى أنا هو الذى خلق ليروضك .. سأجعل منك أيها المتوحشة البرية قطة أليفة كسائر القطط التى تربى فى البيوت !!.

ثم سمع خطوات أتيه نحوهما فاستطرد قائلا :

– ها هو ذا أبوك قد أتى .. فإياك والرفض ..

ودخل باتيستا ومعه جريميو ..وسأله :

– والآن يا سيد بتروشيو .. ما هى نتيجة لقائك بابنتى ؟!..

فقال بتروشيو وهو ينظر إلى كيت بتحد ..

– نتيجة مرضية تماما يا سيدى سلها :

تحول باتيستا إلى ابنته وسألها :

– ماذا الآن يا ابنتى !؟..

أجابته كيت : ابنتك ؟.. أتدعونى ابنتك !؟ وهل يرضى الأب لابنته بمثل هذا الزوج المجنون .. الوحش .. المندفع .. المغرور .. المهرج !؟..

فقال بتروشيو : الحق يا سيدى إننى لا أرى فى ابنتك سوى أنها حمامة وديعة .. وهى ليست حادة المزاج بل هادئة هدوء نسيم الصباح والواقع أننا قد اتفقنا على الزواج ..

صاح جريميو مندهشا : الزواج !؟..

تغاضى بتروشيو عن صيحة جريميو واستطرد قائلا :

– وقد اتفقنا أيضا على أن تظل كيت شرسة كما كانت دائما أمام الناس وصدقوا أو لا تصدقوا ..

ثم نظر إلى كيت نظرة ذات مغزى وأكمل :

– إن كيت تحبنى حبا جما .. فقد تعلقت بعنقى وقبلتنى ..

صاحت كيت : كاذب .. أنا لم أقبلك ..

فأجابها بتروشيو : رائع يا كيت هذا هو ما اتفقنا عليه تماما .. تكونى أمام الناس كعهدهم بك .. أما ونحن فى خلوة فالأمر يختلف ..

ثم تحول إلى باتيستا قائلا :

– سأذهب الآن إلى البندقية لأشترى لها ثوب الزفاف اللائق بمكانتها عندى ، وفى أثناء ذلك عليك ياحماى العزيز أن تعد العدة لهذه المناسبة السعيدة .. ادع الضيوف وجهز الولائم .. ليكن يوم زفافنا هو حديث الناس فى إيطاليا كلها ..

فقال باتيستا وهو شبه مذهول :

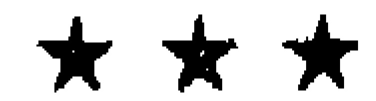
– أسعدك الله يا بتروشيو .. وبارك زواجكما السعيد ..

وهنأ جريميو العروسين وهو لا يصدق أن الطريق قد أصبح ممهدا أمامه للفوز ببيانكا بعد أن زال الشرط الذى وضعه والدها ..

وتهيأ بتروشيو للرحيل ..وودع الحاضرين قائلا :

– يا حماى العزيز .. ويا زوجتى العزيزة .. سلاما .. فإنى راحل إلى البندقية وسيكون يوم الأحد هو يوم زفافنا .. تعالى ياكيت لأقبلك..

ثم جذبها بيده رغم عنها وطبع على وجنتيها قبلتين سريعتين وخرج مسرعا ..



ما أن سرت فى بادوا أنباء خطبة كاثارينا وقرب زفافها .. حتى تغير الحال تماما فى بيت باتيستا ..

فخطاب بيانكا أخذوا فى التوافد إذ زال سبب إحجامهم وترددهم وكان أبوها قد اشترط أن تتزوج ابنته الكبرى أولا حتى يسمح لابنته الصغرى بأن تختار لها زوجا ..

وكان ترانيو تابع لوسنشيو ، قد نجح فى دخول بيت باتيستا بصفته شريفا من أشراف بيزا .. وهو كما عرفت قد تمثل بشخصية سيده بناء على أوامره له ..

أما لوسنشيو نفسه فقد نجح فى دخول بيت باتيستا بصفته أحد المعلمين الذين أحضرهم ترانيو لتعليم بيانكا الموسيقى والشعر ..

وهورتنشيو ، أيضا تنكر فى صورة موسيقى كى يستطيع لقاء

بيانكا التى حبسها والدها فى غرفتها لحين زواج أختها ..

وهكذا .. أصبح بيت باتيستا ميدانا للمنافسة .. أمل كل متنافس فيه أن يفوز ببيانكا وياله من فوز عظيم ..

والمتنافسون كانوا جريميو .. وهو رتنشيو المتنكر فى هيئة موسيقى ولوسنشيو الذى دخل الدار بصفته معلما ..

★ ★ ★

الآن .. جريميو يحادث باتيستا ويحاول الحصول على موافقته بالزواج من ابنته بيانكا .. كان جريميو يقول :

– والآن يابتسيتا فلنتكلم فى أمر بيانكا .. إن هذا هو اليوم الذى طالما تطلعت إليه .. وإنى لجارك .. وإنى أول من تقدم لخطبتها ..

وبينما هو يحادثه فى ذلك الموضوع الهام إذ يدخل ترانيو ( المتقمص لشخصية لوسنشيو ) .. فيقابله الأب بترحاب بصفته شريفا من أشراف بيزا .. ويستمع ترانيو لجريميو وهو يرشح نفسه للفوز ببيانكا .. ولكن الأب يقول :

– اهدأ يا جريميو .. فلنعرف أولا سبب حضور السيد ترانيو ..

قال ترانيو بثبات : لقد جئتك خاطبا لابنتك بيانكا ..وقد عرفتك بنفسى ..وعرفت كرم منبتى وعلو شأنى فى قومى .. فما قولك ؟..

وقبل أن يجيب الأب .. صاح جريميو :

– أيها الغريب .. مالك أنت وبيانكا .. اتركها لمن يحبها ..

فقال ترانيو . اسكت أنت يا أشيب اللحية . يا كبير السن ..

جريميو : إن سنى تمكنني من صون زواجي ورعاية زوجتي ..

ترانيو : صه .. أنت لا تصلح زوجاً .. بل أنت رجل يموت ..

احتد جريميو – أيها الغر الصغير .. من أنت حتى تعرف الحب ؟..

وأجابه ترانيو بهدوء : إن حبك بارد .. بل يكاد أن يتجمد من برودته ..

واحتد الاثنان .. وأوشكا على الشجار فرفع باتيستا يده قائلا :

- كفى يا سادة .. كفى .. سأحسم هذا النزاع .. من يقدم مهراً أكبر سيفوز ببيانكا .. قل لى يا جريميو .. ماذا ستقدم لها ؟..

أجاب جريميو مزهوا : سأهبها منزلى الذى تعرفه وهو آية فى الروعة والفخامة .. فهو ملئ بالأباريق والأوانى الذهبية لتغسل فيها يديها الرقيقتين ، وإن ستائره من نسيج " صور " الشهير .. وأسرّته من خشب السرو الثمين والحشايا تركية مطرزة ..

باتيستا : فقط !!..

استطرد جريميو : هذا بالإضافة إلى صناديق العاج المحشوة ذهبا وفضة وعملات ذهبية .. وكذلك مائة بقرة ترعى فى ضيعتى ومائة وعشرون ثورا فى حظيرتى .. كل هذا سيكون لها .. فأنا أعرف جيدا أننى رجل كبير السن .. فإن مت فإن كل ذلك سيكون لها .. ولست أطلب فى مقابل ذلك إلا أن تكون بيانكا لى زوجة مادمت حياً ..

تدخل ترانيو قائلا : ( مادمت حيا ) .. هذه كلمة موفقة جدا منك ..

ثم تحول باتيستا إلى ترانيو وسأله :

– وأنت يا سيد لوسنشيو .. ماذا ستقدم لها ؟..

أجابه ترانيو بثقة : إني وحيد أبى ووراثه ، وأبى كما تعلم هو فنسنشيو أشهر رجال بيزا وأكثرهم ثراءً .. فإن قبلتنى زوجا لأبنتك فسأترك لها من بعدى أربعة قصور داخل أسوار مدينة بيزا كل قصر منها يفوق أى قصر فى بادوا حتى قصر السيد جريميو نفسه هذا إلى جانب عائد سنوى مقداره ألفان من الدوقيات الذهبية ..

فقال جريميو : نسيت يا باتيستا .. سيكون لابنتك أيضا سفينة تجارية كبيرة وهى الآن فى ميناء مرسيليا ..

فقال ترانيو : لقد قاطعتنى يا سيد جريميو قبل أن أكمل كلامى ..

ثم وجه حديثه إلى باتيستا .. وسيكون لها أيضا ثلاث سفن تجارية كبيرة بالإضافة إلى عدد لا أذكره من المراكب الشراعية المتينة ، وبذلك ياسيد ترباتيستا تكون ابنتك لى دون الناس أجمعين وهذا طبقاً لشرطك..

أجابه باتيستا : إن عرضك هو الأفضل ، ولكن يجب أن يضمن والدك هذا الاتفاق . ربما تموت أنت قبل والدك .. فماذا سيكون موقف ابنتى !؟..

فقال ترانيو : ولكن والدى شيخ عجوز .. وأنا شاب ..

باتيستا : يجوز أن يموت الشاب قبل الشيخ .. هذا وارد ..

ثم رفع يده قائلا :

– هذا هو قرارى .. فى يوم الأحد القادم .. يوم زفاف كاثارينا ..ويوم الأحد الذى يليه سيكون زفافك على بيانكا يا سيد لوسنشيو بشرط أن أحصل على الضمان الذى طلبته .. سأذهب الآن لبعض شئونى .. وداعا ..

وخرج باتيستا وبقى جريميو وترانيو وحدهما .. فقال جريميو بلهجة حاسدة :

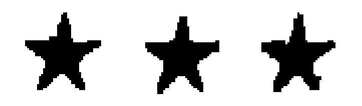
– هل تظن أن أباك سيعطيك كل شئ ليبقى من بعدك عالة عليك وعلى غيرك .. أنت واهم ..

فأجابه ترانيو بهدوء : المهم أننى قد غلبتك ..

وخرج جريميو محبطا وهو يسب ويلعن ..

أما ترانيو فقد وقف وحده يحادث نفسه قائلا :

– أعتقد أننى قد أسديت لسيدى لوسنشيو خدمة عظيمة .. وما عليه الآن إلا أن يبحث عن أب له اسمه فنسنشيو .. يالها من سخرية .. كل الآباء يأتون بالأبناء أما فى حالتنا هذه .. فعلى الابن أن يأتى بأب .. لابد أن أسرع إلى سيدى ولنبحث معا عن حل هذه المعضلة ..



# الفصل الثالث

فى منزل باتيستا كانت الاستعدادات تجرى على أشدها استعدادا لحفل الزفاف المنتظر .. وكانت بيانكا فى غرفتها وقد جلس معلماها على مقعديهما .. ومعلماها مما عرفنا هو لوسنشيو الحقيقى وكان يسمى نفسه كمبيو .. وقد دخل منزل باتيستا بصفته معلما .. والآخر هو هورتنشيو والذى كان يسمى نفسه ليسيو .. وكان مختصا بتعليم بيانكا الموسيقى وفنون العزف ..

كان لوسنشيو يقول مخاطبا هورتنشيو :

– أيها الزمار الفاشل .. اخرج من هنا الآن .. فالدرس الآن عن الفلسفة التى يستعصى على عقلك الضعيف فهمها ..

فأجابه هورتنشيو بحدة : بل اخرج أنت أيها الحمار المخطط سأعلمها الآن درسا فى الموسيقى التى تسمو بالروح وترتفع بها إلى عنان السماء ..

وأخذا يتجادلان على هذه الصورة حتى صاحت بهما بيانكا قائلة :

– رفقا يا سادة إنكما تخطئان فى حقى الآن .. فلست تلميذة فى مدرسة ولذلك فسأتعلم دروسى بالطريقة التى .. تحلو لى ..

ثم قالت لهورتنشيو : خذ آلتك واضبطها .. فسيتتهى السيد كمبيو من درسه قبل أن تنتهى من ضبط أوتارها ..

ثم تحولت إلى بوسنشيو .. أين وقفنا آخر مرة يا سيدى ؟..

أجابها لوسنشيو وهو يفتح كتابا فى يديه : عند قصيدة رسالة من شعر أوفيد ..

قالت بيانكا : إذن اقرأ يا سيدى ..

وشرع لوسنشيو يتلو عليها أبياتاً باللغة اللاتينية التى تعرفها وكانت تصف الطبيعة فى إحدى بلاد اليونان .. فلما فرغ من قراءته سألته بيانكا:

– ترجم هذه الأبيات ..

فقال لوسنشيو : اسمى لوسنشيو ..

بصوت خافت بحيث لا يسمعه هورتنشيو .. وأبى هو فنسنشيو .

( وكأنه يترجم ) .

.. من بيزا .

.. لقد تنكرت هكذا .

.. لأفوز بحبك .

.. وهذا المدعو لوسنشيو .

.. الذى جاء ليخطبك .

هو فى الحقيقة خادمى ترانيو .

وقد مثل دورى .

حتى نخدع العجوز السخيف .

الذى يسمى جريميو ..

وبعد أن انتهى من ترجمته المزعومة سألها إذا كانت قد استوعبت كلامه وفهمت حديثه فأشارت إليه بعينها إلى هورتنشيو ، الذى كان مازال يضبط أوتار آلته ..

ثم قالت بصوت عال : دعنى أجرب الآن الحديث باللاتينية مثلك ولنرى ما إذاكنت استطيع الترجمة أم لا .. ثم أعادت بيانكا قراءة أبيات الشعر نفسها وثم شرعت فى ترجمتها :

أنا لا أعرفك .

ولا أثق بك .

احذر ذلك الجالس معنا .

ولا تندفع وراء أمالك .

ولكن لا تيأس .

وهكذا تبادل الاثنان حديثا مشفرا لم ينتبه له هورتنشيو ، وقد عرفت بيانكا حقيقة معلمها بهذه الطريقة الظريفة التى لجأ إليها .. ثم تحولت إلى هورتنشيو وسألته :

– هل ضبطت آلتك ؟..

فقال هورتنشـيو : نعم .. وسأعلمك الآن السلم الموسيـقى بطريقة مختصرة ..

بيانكا : ولكننى تعلمت السلم الموسيقى منذ زمان بعيد ..

هورتنشيو : لا .. إنه سلم مبتكر .. اقرئيه أولا .

ثم ناولها ورقة أخذت بيانكا تقرؤها بصوت خفيض وكان فيها :

دو ری أنا من يبغى سعادتك .

فا صول أحبى هورتنشيو لأنه يحبك .

لا مى وأن لم تتزوجيه ..

سى لا فليكن الموت مصيره ..

ألقت بيانكا بالورقة جانبا وقالت لهورتنشيو :

– أتسمى هذا سلما موسيقيا ؟ إنه سخيف ..

أسقط فى يد هورتنشيو وصاح فى يأس .

– ضاع أملى .. وسيفوز بها ذلك المخادع اللئيم ..

ثم جاء أحد الخدم قائلا : سيدتى بيانكا إن أباك يطلب منك الحضور لتعاونى فى إعداد غرفة أختك لأن غدا كما تعلمين هو يوم زفافها ..

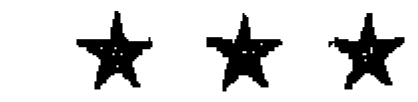
فوقفت بيانكا وحيت معلميها قائلة :

– أستأذن منكما الآن .. أشكرك يا سيد كمبيو وأنت يا سيد ليسيو ..

ثم خرجت من الغرفة وهى تقول بصوت مسموع :

– لقد كان درس الشعر اليوم رائعا ..

ونظر هورتنشيو إلى لوسنشيو والذى كان يبادله النظرات فى حقد وحسد .. ثم خرج هو الآخر مسرعا ..



كان اليوم هو الأحد .. اليوم المحدد لزفاف كيت وبتروشيو ، وقد بدأ المدعوون فى الوفود إلى دار باتيستا التى امتلأتَ عن آخرها بمن جاءوا غير مصدقين لحدوث هذا الأمر الذى كان يبدو مستبعدا بالنظر إلى ما عرفوه من حدة طباع كاثارينا والذى جعل الرجال يتجنونها إتقاءَ الإهانات ودفعاً للشتائم والسباب ..

ومضت فترة طويلة والجميع فى انتظار الزوج الذى لم يحضر بعد .. وكان باتيستا الحزين يدور فى أرجاء داره مرحبا بهذا وذلك وهو لا يخفى قلقه من تخلف بتروشيو وقد ساورته الشكوك فى حضوره بالمرة ..

وقال باتيستا محدثا لوسنشيو : أرأيت يا سيد لوسنشيو ؟.. حتى الآن لم يظهر أى أثر للسيد بتروشيو .. ماذا سيقول الناس ؟ ماذا

سيظنون ؟ لقد حاق بنا العار ..

وكانت كيت العـروس المنتظرة تقف خلف والدها وهو يبث شكايته فقالت :

– لا عار إلا عـارى أنا .. أنا التى أرغمـتموها علـى أن تقبل الزواج من مخـبول أحمق ليت عـيـنى ماوقعت علـيه .. ليت عينى مـا وقعت عليه ..

ثم أسرعت إلى غرفتـها باكية وتبعتها أختـها التى كانت تحاول أن تواسيها فى محنتها هذه .. فلما رأى باتيستا ابنته باكية قال مشفقا :

– اذهبى يا ابنتى .. إنى لا أستطيع أن الومك على البكاء فإن السيد بتروشيو قد أساء لك كثيرا بفعلته هذه ..

.. وفى تلك اللحظة أقبل أحد خدم الدار مـسرعا وهو يقول بصوت لاهث :

– سيدى .. سيدى .. لقد جاء السيد بتروشيو ..

سأله باتيستا بلهفة : جاء !!.. أين هو ؟..

الخادم : إنه قادم يا سيدى .. ولكن ..

باتيستا : ولكن ماذا .. تكلم ..

وتجمع الضيوف حول الخادم الذى أخذ يقول :

– ولكن .. ولكنه قادم فى هيـئة غريبة . . إنه يرتدى قبـعة جديدة

غالـية الثـمن .. ولكنه يلبس ستـرة قديمة مـمـزقة .. وسـروالين عتيقـين ضاع لونهما الأصلى .. وحذاءين باليين وكأنه ظفـر بهما فى قاع البحر وسيفه الذى يعلقه فى وسطه قديم صدئ وكأنه قد حصل عليه من أحد المخازن..

باتيستا : وما الذى جعله يأتى على هذه الهيئة ؟.

الخادم : انتظر ياسيدى حتى أكمل الوصف .. لقد أتى بهذا الشكل على ظهر جواد عجوز يسيل المخاط مـن منخاريه وقد انتشرت البثور والأورام فى كل جسده .. وهو يعرج أيضـا ..

باتيستا : ومن أتى معه ؟.

الخادم : مع الحصان ؟..

باتيستا : يا أحمق .. من أتى مع السيد بتروشيو ؟..

الخـادم : تابعـه .. وهو أسوأ حـالا من الحـصـان .. فـهـو يرتدى جوربين مختلفين ، وعلى رأسه قبعة بـالية طويلة كقبعة الساحرات .. وقد زينها بدلا من الريشة بحزمة من الحشائش فبدا مسخا عجيبا لا يليق أبدا بأن يكون تابعا لأى آدمى ..

فقال باتيستا بيأس : المهم أنه جاء .. بأي صورة ولكنه جاء ..

وفى هذه اللحظة دخل بتروشيو يتبعه جروميـو بهيئتهما الغريبة ونظر حوله يحملق فى الضيوف ثم صاح : أين السيد باتيستا ..؟..

فتقدم إليه باتيستا قائلا وعلى وجهه ابتسامة مصطنعة :

– مرحبا بك يا سيدى .. ولكن .. ما هذه الثياب ؟..

أجاب بتروشيو : أحـمد الله أننى جئت .. أين كيت ؟.. أين عروسى الجميلة ؟..

كان الجـميع يحملقون فى بتروشـيو .. وقد أثار منـظره الغريب دهشتهم البالغة فصاح بهم :

– أيها السـادة لماذا تحملقون فى وكـأنكم تشاهدون أثرا تاريخـيا رائعاً أو كأنكم تبصرون مخلوقا خارقاً ؟..

جذبه باتيستا من يده قائلا : لم نكن نتـوقع حضورك متأخرا على هذه الصورة البشعة .. هيا اذهب إلى غـرفتى واستبدل أسما لك هذه بثياب لائقة بحفلنا الكريم ..

تخلص بتروشيو من قبضة العجوز بعنف وصاح :

– لا .. لن أتزوج إلا وأنا على هذه الصورة ..

واعترض باتيستا .. كيف ستقابل عروسك على هذه الهيئة ؟..

ولكن بتروشـيو أجابه : إنها سـتتزوجنى أنا ولن تـتـزوج ثيابى .. هيا أحضروا العروس فأنا متلهف إليه ..

.. وذهب الأب المسكين لإحضـار ابنته .. بينما انشغـل الحاضرون فى تناول المأكـولات والمشـروبات التى كـانت تقدم بسـخـاء فى هذا الحفل الكبير..

.. ما أن وقعت عين كاثارينا على بتروشيو – عريسها – حتى صرخت وكادت أن تقع على الأرض مغشيا عليها .. ولكن بتروشيو أسرع اليها يتلقاها بين ذراعيه ..وطبع على خدها قبلة طويلة ثم قال :

– هذا هو شأن العذارى دائما فى مثل تلك الليلة السعيدة ..والآن هيا إلى الكنيسة .. لابد أن القسيس ينتظر .. وقد طال انتظاره ..

قالت كيت بصوت مكتوم : لن أذهب معك بهذه الصورة ؟..

فرد عليها بتروشيو : بل ستذهبين .. عوّدى نفسك على الطاعة من الآن ..

كيت : لن أذهب ..

بتروشيو : ستذهبين .. ثم اقترب منها وهمس فى أذنها :

– إلا لو أحببت أن أصفعك أمام كل الموجودين ..

واستسلمت كيت كارهة .. وذهب العروسان إلى الكنيسة يتبعهم جمع غفير من المدعوين .. وكان القسيس فى انتظارهما بفارغ الصبر فلما دخلا عليه .. وأبصر بترويشو على هذه الصورة مال على أذن السيد باتيستا هامسا : أهذا هو من ارتضيته زوجاً لابنتك يا باتيستا ؟..

أجاب باتيستا مصطنعا السعادة : نعم يا أبتاه .. ولا يغرنك منظره فهو نبيل من النبلاء ولكنه يحب المزاح قليلا ..

فقال القسيس وهو يفتح كتابه : حسنا .. فلنبدأ الآن مراسم الزواج .

ثم وجه كلامه إلى بتروشيو قائلا :

– سيد بتروشيو .. هل تقبل كاثارينا زوجاً لك ؟..

ولدهشة الحاضرين أجاب بتروشيو صارخا : نعم .. وبحق الله أقبل كاثارينا زوجا لى ..

أرتبك القسيس وهو يسمع بتروشيو يصرخ بهذه الصورة المفاجئة ، سقط منه الكتاب فلما انحنى ليلتقطه عاجله بتروشيو بلكمة قوية سقط على أثرها على الأرض .. وكان بتروشيو يقول : حتى لا تسخر من هيئتى مرة أخرى ..

أما كيت فقد أخذت ترتعد فى فزع وهى تنظر للقسيس الملقى على الأرض ولكنه بتروشيو لم يأبه بالاضطراب الذى أحدثه .. بل صاح مرة أخرى :

– فلتأتوا بالخمر الآن .. ولنشرب جميعا نحب هذا الزواج الميمون .

ثم تناول كأسا .. وافرغ ما فيها فى جوفه دفعة واحدة .. ثم أمسك عروسه من عنقها بقوة وقبل شفتيها .. قبلة طويلة .. ودوت الكنيسة كلها بالصدى بعد أن افترقت الشفاه ثم عاد بتروشيو يصرخ :

– والآن .. مرة أخرى إلى منزل باتيستا .. حماى العزيز ..

عـاد الجمـيع إلى منزل بـاتيسـتـا ليـواصلوا حفـلهم الذى انقطع بذهابهم إلى الكـنيسـة .. فلمـا تأخـر الوقت وشـرع الضـيـوف فى الانصراف .. قال بتروشيو مخاطبا هؤلاء الذين بقوا منهم :

– سادتى وأصدقائى .. إنى لأشكركم جميعا على حضوركم اليوم وإنى لأعلم أنكم تنوون العـشاء معنا اليـوم .. ولكن .. وفى الواقع .. فإن ظروفى العـاجلة تدعونى إلى الرحيل فى الحال لذلك أسـتأذنكم الآن فى الانصراف ..

فقال باتيستا : معقول ؟ .. هل سترحل الليلة ؟..

بتروشيو : نعم يا أبتاه .. إننى مضطر للرحيل ..

فقال أحد الضيوف : هذا لا يليق يا سـيد بتروشيو .. ابق معنا إلى ما بعد الوليمة ..

بتروشيو : لا يمكن ..

وقـال آخر : إننا نرجـوك أن تبقى مـعنا ..

بتروشيو : مستحيل ..

وقالت كيت فى ذلة : إذن .. دعنى أنا أتوسل إليك ..

بتروشيو : لا مانع ..

فسـألته مندهشة : هل رضيت ؟..

فأجابها : لا .. لم أرض .. بل قلت لا مانع فى أن تتوسلى إلى ..

أعادت كيت طلبها بدلال مصطنع .. إن كنت تحبنى .. أبق ..

ولكن بتروشيو .. تجاهل طلبها .. وصاح بتابعه جروميو .. جروميو.. جهز الجياد ..

فصاحت كيت : إذن افعل ما فى وسعك .. أنا لن أرحل اليوم .. ولا غدا .. أرحل أنت وحدك .. ها هو الطريق أمامك ..

فأجابها بتروشيو : كيت .. لا داع للغضب ..

ولكنها قالت بتحد : سأغضب .. ماذا ستفعل ؟..

ثم تحولت إلى ضيوفها غير عابئة بنظرات زوجها وقالت :

– هيا أيها السادة .. كلوا واشربوا .. ولا تهتموا بكلامه .. فالرجل يظن أنه يستطيع استغفال المرأة ..

ثم التفتت إلى زوجها واستطردت .. ولكنى لست كأية امرأة ..

وقبل أن تكمل كلماتها لف بتروشيو ذراعه حول خصرها وسحبها وهو يقول :

– لن أتنازل أبداً عن حقى فى السيطرة على كل ما أملك .. أنت بضاعتى ..ومتاعى .. أنت جوادى وثورى وحمارى ..

فلما اعترض الحاضرون على هذه الطريقة التى يعامل بها بتروشيو زوجته ، وحاول البعض منهم تخليصها من قبضة ذراعه .. صاح بهم بتروشيو محذرا :

– لا يلمسها أحدكم .. حذار أن يقترب منها أى أحد منكم ..

ثم قال يخاطبها : لا تخافى يا كيت .. لا تخافى يا امرأتى العزيزة .. إنهم لن يمسوك بأى أذى لأنى سأحميك حتى لو وقفت ضد ألف رجل منهم ..

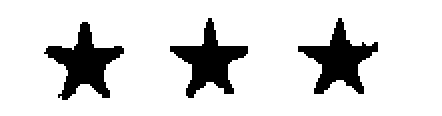
ثم صاح بتابعه : جروميو .. أشهر سلاحك ودافع عن مولاتك فإننا محاصرون باللصوص ..

.. كان الحاضرون لا يصدقون أنفسهم وهم يرون تلك المشاهد العجيبة ويسمعون تلك العبارات الغريبة التى لا يسمع مثلها إلا فى ميادين القتال وساحات الحروب ..

وتقدم باتيستا المسكين من بتروشيو الذى كان مازال ممسكا بعروسه قائلا فى استسلام :

– حسنا .. اذهب يا سيدى .. اذهبا فى سلامة الله .. وانتم أيها السادة عودوا لعشاؤكم .. عودوا للهوكم ومرحكم ..

وعاد المدعوون إلى مقاعدهم .. بينما خرج بتروشيو وكاثارينا وجروميو ..



# الفصل الرابع

.. أمر بتروشيو تابعه جروميو بأن يسبقه إلى منزله ليعد العدة لاستقبال سيدته الجديدة وكان جروميو يتلقى أوامر سيده وتعليماته وهو يفهم مغزاها ومعناها ، فقد سبق وأن اتفق مع سيده على أمور بعينها وعليه الآن أن يسبقهما لتنفيذها بكل دقة وإلا استحق غضب سيده وهو غضب عارم غالبا ..

وصل جروميو إلى الدار .. وصاح ينادى الخدم :

– كورتس .. ڤيليب .. ناثانيال .. هيا إلىّ بسرعة فما زال أمامنا الكثير لتفعله وحضر الخدم الثلاثة بسرعة .. وأخذ جروميو يصدر تعليماته إليهم قائلا :

– لحظات وسيحضر سيدى مع عروسه .. هل فرغ الطاهى من تجهيز العشاء ؟..

وأنت يا ڤيليب هل فرشت الأرض بالقش الجديد وأزلت العناكب؟.. وهل أشرفت على خدم المنزل وتأكدت من ارتدائهم الملابس الجديدة ؟.. وهل نظفت الكؤوس يا ناثانيال ؟.. وهل فرشت المفارش على الموائد ؟.

فقال كورتس : اطمئن يا جروميو .. لقد جهزنا كل شئ .. ولكن قل لى : ما الأخبار ؟.

أجابه جروميو : الأخبار إنهما قادمان فحسب .. ولكن .. أقول لكما إنهما قد سقطا من على الجواد الذى يركبانه ..

كورتس : أكانا على جواد واحد ؟..

جروميو : نعم ..وماذا يهمك فى ذلك ؟..

كوتس : يهمنى الجواد .. هه ..أكمل ..

جروميو : تعثر بهما الجواد على التل فسقطا فى الوحل .. فأخذت السيدة تبكى وتصب اللعنات .. فهى لم تعتد على مثل هذه الأمور ..

كورتس : إنها مستحقه للشفقة ..

جروميو : بل ستكون أنت المستحق لها لو أتى سيدى ووجدكم غير مستعدين .. هيا .. استعدوا بقية الخدم ، ومشطوا شعورهم جيدا وأوصوهم بما يجب عليهم أن يفعلوه عند وصول السيد وزوجته ..

وفى هذه اللحظة .. فتح الباب بقوة ودخل بتروشيو وكيت وقد غطي الوحل كامل جسديهما ، وكانت كيت فى حالة إعياء شديد تستند إلى الباب فى ضعف ..

صاح بتروشيو بمجرد دخوله : أين هؤلاء الخدم !؟ لا أحد بالباب !؟ ياويلكم منى .. فليرحمكم الله من عذابى وبطشى ..

فأجاب جروميو فزعاً : كلهم هنا يا سيدى ..

بتروشيو : أنت هنا .. ياجلف .. يا أحمق .. ألم آمرك أن تلقانى فى الحديقة !؟ وأن تأتى معك ببقية الخدم الأوغاد ؟..

فأجاب جروميو مرتعدا :

– لقد كانت سترة ناثانيال غير جاهزة .. وكان حذاء ڤيليب متسخا .. ولم يكن لدينا (هباب) ، لنصبغ به قبعة كورتس ..

فصاح بتروشيو غاضبا : اذهبوا عنى أيها الأوغاد .. هيا ائتونا بالعشاء ..

خرج الخدم لتنفيذ أوامر سيدهم .. وبقى بتروشيو وحده مع كيت ونظر إليها فإذا هى مازالت واقفة عند الباب .. وقد غطاها الوجل .. تبكى فى حرقة .. فحول وجهه عنها وأخذ يغنى .. أين الحياة الرغدة التى كنت أعيشها ؟..

أين البيت الذى كنت أنا الآمر الناهى فيه ؟..

أين مقعدى أين سريرى .. أين كل أغراضى ؟.

أين .. أين كل هؤلاء ..؟..

ثم توقف عن غنائه .. وقال لها :

– اجلسى يا كيت .. اجلسى ..

ثم دخل الخدم بالعشاء فصاح بهم – لا عشاء قبل أن ننظف

أنفسنا .. أحضروا الماء بسرعة وخرج الخدم مسرعين .. وعادوا بأوانى الماء .. فجلس بتروشيو على أحد المقاعد .. ومد رجليه إلى خادمه وأمره بنزع حذائه .. وفعل الخادم كما أمره سيده ولكنه صاح به :

– أيها الأحمق ترفق .. ستنزع ساقى مع الحذاء ..

ثم تحول إلى كيت التى جف الوحل على بدنها .. فبدت كتمثال مشوه .. وقال لها :

– تعالى يا كيت .. يا زوجتى الحبيبة .. اجلسى عند قدمى واغسليهما بالماء ..

وفوجئت كيت بهذا الطلب غير المتوقع .. وأوشكت أن تسب بتروشيو .. ولكنها أمسكت حين نظر إليها محذرا ..

وصدعت للأمر .. وجلست عند قدميه تغسلهما بالماء والصابون ..

وبعد أن فرغت قامت مبتعدة إلى أطراف الغرفة وهى تفكر فيما آل اليه حالها ولكنه ناداها :

– تعالى ياكيت .. لابد أنك جائعة ..

ثم أمر الخدم أن يأتوا بالطعام .. فذهبوا ثم عادوا يحملون الأطباق والصوانى وأخذوا يصفونها على المائدة ..

وجلس بتروشيو على مقعده وبجانبه كيت التى كان الجوع قد أوشك على افتراسها ..

.. وعندما رأى بتروشيو الطعام صاح بالخدم :

– يا حمقى .. يا أنذال .. أهذا لحم الضأن ؟..

أجابه أحد الخدم : نعم يا سيدى ..

بتروشيو : احمله من هنا بسرعة .. إنه محروق .. أين الطاهى اللعين .. أين هذا الشقى ..

ثم تحول إلى الطبق الثانى .. وإذ به يصرخ مرة أخرى ..

– ماذا .. لحم العجل !؟.. جاف مقدد .. هل جُن هذا الطاهى؟.. هل نسى أصول الطهى .. أبعدوا هذه الأطباق عن مائدتى يا خبثاء .. يا خونة .. يا لصوص !!..

فقالت كيت وهى تنظر بحزن إلى الخدم الذين أخذوا يرفعون الأطباق ويذهبون بها ..

– أرجوك يا زوجى .. لا داع للثورة على هذا النحو .. فاللحم كان طيبا ..

ولكن بتروشيو أجابها غاضبا :

– لا يا عزيزتى .. إنه كان محروقا ولحم كهذا يسبب الصفراء ويذهب بالصحة .. ثم عاد يصيح : أيها الخدم الملاعين .. يامن تحرقون الطعام يامن تستحلون مالى ..

ثم تحول إلى زوجته قائلا :

– لقد كتب علينا الصوم يا حبيبتى .. هيا إلى غرفتنا .. فأمامنا الكثير لنفعله وقامت معه كيت مستسلمة وهى تكاد تبكى من الجوع الذى يقرص معدتها الخاوية ولكنها كانت تقول فى سريرتها :

– إننى فى حاجة إلى النوم .. هو وحده الذى سينسينى جوعى .. ويزيل تعبى ..

ولكن بتروشيو صاح بمجرد دخولهما الغرفة :

– ماذا .. ماذا يفعل هؤلاء الخدم بنا ؟.. هل هذا هو السرير الذى يفترض أن ننام عليه انظرى إلى حاشيته .. إنها فى صلابة الصخر ( ثم ألقى بها على الأرض ) ، وما هذه الوسائد ؟ إنها كفيلة بتحطيم رأس من ينام عليها ( دفعها بعيدا ) .. وما هذه المقاعد التى يبعث منظرها على الكآبة فى النفس ؟.. هل هذا المكان يليق بعروسين ؟.. هل يليق هذا الفراش بكيت الجميلة تبا لهؤلاء الخدم .. سيكون حسابى معهم عسيرا..

ثم التفت إلى كيت التى كانت ماتزال واقفة فى إعياء شديد .. إذ لم تجد ما تجلس عليه أو ترقد عليه وقد أحال زوجها ( المجنون ) ، الغرفة كلها إلى فوضى عظيمة .. وقال لها :

– ولكن لا بأس .. إن الأنسان منا لابد وأن يعوّد نفسه على تقبل كل شئ ..المهم هو سعادة الروح وليس راحة الجسد .. فلنسم فوق شهواتنا ، ولنبتعد عن دافع غرائزنا .. بحيث تتلاشى رغبتنا فى النوم أو الأكل .. أو ..

ثم أخذ يلقى على مسامعها كلمات وعبارات لم تفهم منها شيئا .. فقد كانت مغيبة العقل منهوكة القوى .. خالية المعدة .. فى حاجة ملحة إلى الاغتسال والطعام والنوم .. لذلك كانت شبه غائبة عن الوعى .. وزوجها يحدثها بلا توقف .

★ ★ ★

نترك العروسان في عشهما السعيد ..ولنحاول أن نستطلع آخر أخبار الابنة الأخرى المتبقية التى تتاح لها الآن فرصة كبيرة فى الاختيار لم تحصل عليها أبدا أختها المسكينة كيت .." الصابرون بخير" مقولة صحيحة تنطبق تماما على حال بيانكا فى هذه الأيام .. فالخطاب يتنافسون في كسب ودها .. ويلجأون فى منافستهم هذه إلى كل الأساليب .. المهم الفوز ولا شئ غيره ..

كانت بيانكا الجميلة فى حضرة معلمها لوسنشيو ( كامبيو ) ، يقرأ عليها كتابا وهما يجلسان تحت إحدى الأشجار ..كانت جلستهما أشبه بجلسة غرام عن كونها جلسة درس وتحصيل ..وهو ما جعلهما غير منتبهين لهؤلاء الذين أتوا للتلصص عليهما ..

فخلف شجرة كبيرة قريبة .. وقف هورتنشيو ( ليسيو ) ، وبجواره ترانيو وكان الأول يقول :

- هل صدقت كلامى الآن .. إنها لا تحبك كما أنها لا تحبنى .. بل هى متعلقة بذلك المعلم الذى أتى إلينا من حيث لا نعلم .. انظر كيف

يتهامسان ؟.. حاول أن تستمع إلى ما يقولانه .. هه .. هل تسمع ؟.

كانت بيانكا فى هذه اللحظة تستمع إلى لوسنشيو وهو يلقى على مسامعها أشعاراً يقرؤها لها من كتاب فن الحب للشاعر الإغريقى أوفيد وكانت بيانكا تهمس أحيانا بكلمات لم يمكن للمتلصصين سماعها وإن كان يمكنهما وبسهولة تخمينها ..

قال هورتنشيو : هل مازلت مصرا على أن بيانكا لا تحب سواك ؟.

فأجابه ترانيو بلهجة المخدوع : يالتقلب هوى العذارى .. أؤكد لك ياسيد ليسيو أننى كنت واهما ..

فقال هورتنشيو بصبر نافذ : أنا لست ليسيو .. بل لست معلم موسيقى كما أبدو لك .. بل أنا رجل شريف اضطرته الظروف أن يرتدى هذا الزى المضحك من أجل امرأة لا تستحق الاهتمام .. اعلم يا سيدى أننى أدعى هورتنشيو ..

أجابه ترانيو : آه .. السيد هورتنشيو .. لقد سمعت عنك وسمعت عن حبك الشديد لبيانكا .. ولكن .. مادامت عيناى قد شهدتا أستهتارها .. فإنى أقسم أن أترك حب هذه المخادعة إلى الأبد ..

كان هورتنشيو يراقب وهو يكاد أن يموت غيظا ..

– انظر يا سيد لوسنشيو .. إنه يقبلها ..

ثم استدار قائلا فى تصميم :

– وأنا أيضا .. أقسم بأنني لن أتقرب إليها بعد اليوم .. بل إنني سأتزوج غيرها في غضون ثلاثة أيام لا أكثر .. امرأة ثرية تحبني منذ سنوات .. وداعا يا سيد لوسنشيو إن حنان المرأة وليس جمالها هو الذي يستهويني بعد اليوم ..وداعا ياسيدي ..

ثم ابتعد هورتنشيو وقد ضاع أمله نهائيا في الفوز ببيانكا .. ليلحق بصديقه جريميو الذي خاب سعيه هو الآخر بفضل العرض الذي قدمه لوسنشيو ، المزعوم ( ترانيو ) .. إلى والدها والذي كان يفوق عرضه بقدر كبير ..

.. يبدو أن لوسنشيو ( الحقيقي ).، هو الذي سيفوز بهذه الغنيمة الغالية .. بيانكا الجميلة .. ولكن مازال هناك عقبة تعترض سبيل هذا الفوز وهذا المغنم .. وهو العثور على شخص يصلح لأن يكون الشيخ فنسنشيو الثرى من بيزا .. ووالد لوسنشيو ، الذي سيقدم الضمان المكتوب للسيد باتيستا والد بيانكا ..

وقد كرس ترانيو كل جهده ووقته للعثور على الرجل المناسب لتمثيل هذا الدور .. كما كلف بيونديللو خادم لوسنشيو .. بالبحث أيضا ..وقد طال بحثهما إذ عليهما العثور على عجوز غير معروف في بادوا .. والأهم أن يقبل هذا الدور .. والأكثر أهمية أن تيقنه لذلك طال بحثهما .. حتى كاد اليأس أن يتسرب إلى نفوسهما .. فتضيع بيانكا من بين سيدهما لوسنشيو وهو مالا يرضيانه له أبدا ..

حتى جاء اليوم الذي أتى فيه بيونديللو إلى ترانيو لاهثا وهو يقول:

- وجدته يا ترانيو ..وجدته ..

فسأله ترانيو : وجدت من ..؟ تكلم ..

قال بيوندللو وهو مازال يلهث : الرجل المطلوب .. لقد لمحت شيخا وقورا يهبط التل وهو مهذب الهندام .. يشبه فى ملامحه ومشيته الآباء!.

فقال ترانيو وقد نشطت حواسه .. وأين هو الآن ؟..

أجاب بيوندللو : أنه قادم فى اتجاهنا .. انظر .. ها هو آت ..

.. كان الشيخ يسير فى اتجاههما حثيثا .. فلما اقترب من موضعهما بادره ترانيو بالتحية قائلاً :

- مرحبا بك يا سيدى .. هل أنت غريب عن هذه البلدة ؟..

رد الشيخ التحية متعجبا ولكنه قال : لا يا سيدى أنا من مانتوا(١).

ترانيو : وإلى أين مقصدك ..

الشيخ : إلى روما .. ثم إلى طرابلس إذا مد الله فى عمرى ..

فقال ترانيو : إذا ..

سأله الشيخ : ماذا تعنى ؟.

ترانيو : إننى أتعجب من جراءتك يا سيدى .. فأنت تسير فى بادوا وكأنك لا تعرف ..

(١) مانتوا : بلدة إيطالية ..

قال الشيخ بدهشة : لا أعرف ماذا ؟..

استطرد ترانيو قائلا : يبدو أنك حقا لا تعرف .. اعلم يا والدى أن الموت هو مصير كل شخص قادم من مانتوا إلى هنا ..

فغر الشيخ فاه وسأل .. الموت !؟.. وما السبب ؟..

ترانيو : لقد تخاصم دوقنا مع دوق مانتوا .. فأقسم دوقنا أن يكون الموت هو مصير كل مواطن من مانتوا .. وقد قام دوقنا بالحجز على كل سفنكم فى ميناء البندقية ..

لطم العجوز خديه وقال باكيا :

– يالخسارتي .. إن معى صكوكا بأموال محولة من فلورنسا وتستحق الصرف هنا فى بادوا .. هل قدر على أن أخسر مالى ..

أضاف ترانيو : وحياتك ..

الشيخ : وماذا سأفعل ..

اقترب ترانيو من الشيخ وهمس له بصوت خفيض :

– سأسدى لك معروفا .. ولكن قل لى أولا .. هل زرت يوما مدينة بيزا ؟..

هز الشيخ رأسه : نعم .. نعم ..

ترانيو : هل سمعت عن شخص فيها يدعى فنسنشيو ؟..

هز الشيخ رأسه مرة أخرى : نعم .. سمعت عنه وهو تاجر ثرى غاية فى الثراء ..

ترانيو : هو أبى .. وأنا ابنه ..والحق يا سيدى أنك تشبهه تماما ..

تمتم بيونداللو بصوت خفيض ( نعم تشبهه بقدر ما تشبه التفاحة المحار)..

استطرد ترانيو شارحا : ستنزل فى بيتى على أنك أبى ڤنستشيو وبذلك لن يقترب منك أحد من رجال الدوق وستتاح لك الفرصة بذلك أن تقضى مصالحك فى بادوا ..

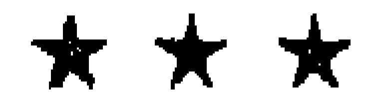
صاح العجوز شاكرا : يا حبيبى .. أنت ولى حياتى وحريتى ..

فقال ترانيو : وهو يتأبط ذراعه ويسير به ..

– إذن .. تعال معى لنتكلم فى التفاصيل وبهذه المناسبة أحب أن أعرفك بأن قدوم والدى إلى هنا قد أصبح وشيكا .. فهو قادم ليوثق ضمانا بمهر زواجى من ابنة رجل هنا يدعى باتيستا ..

العجوز : بارك الله هذا الزواج يا بنى ..

ترانيو : هيا إلى منزلى .. فلابد من تغيير هيئتك قليلا حتى تشابه مع والدى ..



.. مازالت كاثارينا فى محنتها الأليمة بمنزل زوجها بتروشيو .. فهى تقضى الأيام بلا طعام يشبع جوعها وتحرم النوم الذى يحتاجه جسمها المتعب .. وقد أنهك التعب قواها .. فضعفت إرادتها .. وهبطت

حدة طباعها وأصبحت أكثر تقبلا لأوامر زوجها ..

.. وكان جريميو الذى يتصرف بتخطيط من سيده يقوم بترتيب الأثاث فى بهو المنزل الريفى .. حين نادته كيت .. فلما أسرع إليها قالت :

– هل يمكن أن تأتينى بأى طعام يا جريميو.. فأنا جائعة ..

سألها جريميو : ما رأيك فى لحم بقرى مسلوق !؟..

أجابته كيت وهى تزدرد ريقها : لا بأس .. ائتنى به بسرعة ..

لكن جريميو قال مترددا : ولكننى أخشى يا سيدتى أن يصيبك المسلوق بالصفراء .. مارأيك فى دجاجة مشوية ..

سال لعاب كيت : نعم .. هذا ما أريده .. أحضرها بسرعة ..

ولكنه عاد يقول : وهذه أيضا قد تكون خطيرة ..وبما سببت لك اضطرابا فى المعدة .. ما رأيك فى قطعة من لحم الضأن مع الخردل ؟..

كيت : إنه طعامى المفضل ..

جريميو : نعم .. إنه طعام شهى .. ولكن الخردل حار !!.

كيت : إذن .. هات اللحم وأترك الخردل ..

جريميو : ولكننى لا أستطيع أن أطهو اللحم بدون الخردل .. لابد من الاثنين معا ..

فقالت كيت غاضبة : ائتنى باللحم بالخردل .. أو بأحدهما ..

جريميو : هل تريدين الخردل وحده ..

لم تتمالك كيت نفسها فصاحت فى جريميو وقامت إليه تكيل له الصفعات واللكمات وهى تقول : اغرب عن وجهى ياغشاش يا مخادع يا من تطعمنى أسماء اللحوم .. تبا لك أنت وسيدك .. هيا أغرب عن وجهى ..

خرج جريميو : مسرعا وهو يصيح من الألم .. فاصطدم عند خروجه بسيده بتروشيو الذى أتى بصحبه هورتنشيو .. وكانت فى يده لفائف قدمها إلى كيت قائلا :

– هذا لحم .. أحضرته لك ..

تناولت كيت اللفائف فى لهفة وفتحتها بسرعة أخذت تأكل بنهم شديد .. وبتروشيو ينظر إليها بلا اكتراث .. ثم قال بعد فترة ..

– هل يعجبك الطعام يا كيت ؟..

ولم تجب كيت .. فقد كان فمها مشغولا فى البلع والهضم فلما رأى منها بتروشيو هذا السكوت .. أمر الخدم برفع الطعام قائلا :

– أرفعوا هذا الطعام فهو لا يعجب زوجتى العزيزة ..

لكن كيت أحاطت اللفائف بذراعيها قائلة : أرجوك أن تدعها حيث هى ..

فقال بتروشيو : كان ينبغي عليك شكرى قبل أن تبدئى الطعام ..

قالت كيت فى ذلة : شكرا لك .. يا سيدى ..

ثم عادت تلتهم اللحم .. وغير عابئة بنظرات هورتنشيو ، الذى كان يتعجب لما آل إليه حالها ..

وبعد أن فرغت من طعامها .. خاطبها بتروشيو قائلا :

– والآن .. عليك بالتزين فنحن ذاهبان إلى بيت أبيك .. لقد أحضرَت الخياط معى .. وهناك أيضا بائع القبعات وأدوات الزينة ..

وأمر جريميو باستدعاء بائع القبعات الذى دخل وفى يده قبعة جميلة ولكن بتروشيو صاح به : ما هذه القبعة يا رجل ؟.. هل استعملت طست الغسيل قالبا لها !؟.. إن القوقعة أكثر جمالا منها ثم قذف بها إلى ركن الغرفة .. وقال مخاطبا الرجل :

– هات واحدة أكبر ..

لكن كيت صاحت : أكبر .. لن ارتدى إلا القبعة التى ألقيتها ..

جاوبها بتروشيو بهدوء : حين تصبحين لطيفة سأترك لك حرية الاختيار .. أما الآن فالاختيار لى ..

كيت : إنى لست طفلة ..ولست خادمة وضيعة ..

فقال بتروشيو محذرا : إياك والغضب ..

كيت : لا إن كنت لا تطيق غضبى فخير لك أن تغمض عينيك أو

تسد أذنيك فإن لساني لابد وأن ينطق بالغضب الذى يجيش به صدرى ..

بتروشيو ( بهدوء ) : جريميو .. أخرج بائع القبعات .. فلسنا فى حاجة إليه .. وأدخل الخياط ..

خرج بائع القبعات ودخل الخياط يحمل فى يده ثوبا ووقف به أمام كيت التى قالت :

– ما أبدع هذا الثوب ..

ولكن بتروشيو قال معترضا : هذا الثوب بديع ؟.. إن كميه كفوهتى مدفع .. انظرى إلى ألوانه المتداخلة .. انظرى إلى ياقته ..

ثم صاح بالخياط : هذا الثوب لا يليق بفلاحة جاهلة فما بالك بسيدة من سيدات الطبقة الراقية .. اخرج بفستانك من هنا وإلا حطمت رأسك..

– ولكنه فستان جميل .. ولن أرضى بغيره بديلا ..

فقال بتروشيو : لقد قلت إن هذا الثوب لا يصلح .. فإياك والمجادلة سنذهب إلى والدك بملابسنا العادية .. فمكانة المرء فى شخصه وليس فى ثوبه ..

ثم التفت إلى صديقه هورتينشيو الذى كان يراقب تلك الأحداث بدهشه ..

– سنرحل فى الساعة السابعة .. لنصل إلى بيت باتيستا فى الساعة الثانية قبل موعد العشاء ..

احتجت كيت : ماذا تقول .. كيف سنصل قبل رحيلنا ؟..

أجابها بتروشيو : ها أنت تعترضين مرة أخرى .. حسنا .. لن نسافر سنقضى الليلة هنا حتى تتعلمى أن تطيعى زوجك فى كل ما يقوله ..

قالت كيت مستدركة : فلترحل فى أى وقت .. نرحل اليوم لنصل أمس .. نرحل الآن لنصل فى الساعة الماضية .. المهم أن نرحل الآن .

ولكن بتروشيو وقف وأخذ طريقه إلى باب الغرفة وهو يقول :

– لا تراجع .. لن نسافر اليوم ..

★ ★ ★

كان ترانيو فى طريقه إلى منزل السيد باتيستا بصحبة والده المزعوم وكان يلقنه دوره فى أثناء سيرهما ويقول :

– لا تنس أيها الشيخ .. اسمك الآن هو فنسنشيو .. وعليك أن تتصرف كما يتصرف الآباء فى مثل هذه الأمور ..

فأجابه الشيخ : لا تخف يا ولدى ..

– فلما وصلا إلى المنزل المنشود طرق ترانيو بابه وقال للخادم الذى فتحه :

– أخبر سيدك برغبة السيد فنسنشيو فى لقائه ..

فأدخلهما الخادم مرحبا وأسرع يستدعى سيده الذى أقبل معانقا لوسنشيو الذى قال :

– اسمح لى يا سيدى أن أقدم لك والدى الذى أتى اليوم إلى بادوا ..

تصافح الشيخان .. وبعد الكلام المعتاد .. قال فنسنشيو المزعوم :

– لقد نقل إلى ابنى نبأ خطبته لابنتك وأنا أعلنك بصفتى والده بأننى راض تماماً بهذا الزواج ..ولن أخالف فى سبيله شرطا تضعه ..

قال باتيستا : سيدى .. إن بساطتك تسرنى ..وأعتقد أننى قد أتفقت مع ابنك على كل شئ ولا يبقى سوى ضمانتك لعقد الأتفاق ..

ترانيو : حسنا ياسيدى .. هيا بنا نحضر موثق العقود ..

قال باتيستا معترضا : لا .. ليس هنا .. بل سنكتب العقد عندك يالوسنشيو .. فأنا أخشى جيرانى كما أخشى جريميو الذى خابت آماله فلربما كان يضمر لنا شراً ..

ترانيو : إذن هيا إلى منزلى نحرر العقد ونتناول عشاءًا من الموجود أيا كان .. وخرج الجميع من المنزل .. متجهين إلى دار لوسنشيو .. وفى الطريق قابل ترانيو بيوندللو فتنحى به جانبا وأسرّ فى أذنيه ببضع كلمات أخذ بيوندللو بعده يعدو وكأنه فى سباق محموم .. حتى وصل إلى الحديقة التى أعتاد سيده الحقيقى لوسنشيو أن يقضى أسعد أوقاته فيها مع حبيبته بيانكا ..

نادى بيوندللو سيده بصوت خافت : سيدى لوسنشيو .. سيدى لوسنشيو ..

أدار لوسنشيو رأسه جهة الصوت ، فلما أبصر بيوندللو هرع إليه قائلاً:

- ماذا أتى بك إلى هنا يا بيوندللو ..

قال بيوندللو : اسمع .. لا وقت أمامنا ياسيدى .. إن السيد باتيستا فى منزلك الآن يوقع عقد الأتفاق مع والدك المزيف .. وقد أعددنا العدة لعقد قرانك على السيدة بيانكا فى الكنيسة .. اذهب الآن .. فالقسيس فى انتظارك .. اذهب قبل فوات الأوان فقد يكتشف السيد باتسيتا الحقيقة فيحرمك بيانكا ..

فكر لوسنشيو مليا فيما أخبره بيوندللو .. ثم توجه إلى حيث كانت بيانكا مازالت جالسة تحت شجرتهما الأثيرة ..وحدثها عن الأخطار التى تحيق بحبهما ، وحثها على أن تذهب معه إلى الكنيسة ليتما زواجهما .. بعيداً عن الأعين ..

★ ★ ★

كان بتروشيو وزوجته كيت يصحبهما هورتنشيو قد أشرفا على التل الذى يشرف بدوره على مدينة بادوا ..وقد نال منهما التعب فجلسا يستريحان ..

قال بتروشيو وهو يجفف غرفه بمنديله :

- سبحان الخلاق العظيم .. ما أزهى نور القمر وما أبهى سناه !!.

صاحت كيت : القمر .. قل الشمس نحن مازلنا فى الصباح ..

بتروشيو : ولكنى أقول بأنه القمر الذى يشرق كل صباح ..

كيت : بل هى الشمس ..

فقال بتروشيو محذرا : القمر .. إنه القمر وإلا رجعنا إلى بيتى ثانية ثم نادى خدمه : هيا .. اجمعوا الخيل .. سنعود إلى الريف ..

فقال هورتنشيو مخاطبا كيت : وافقيه على قوله وإلا لن ترى أباك أبدا..

فتوجهت كيت إلى زوجها قائلة : أرجوك أكمل الرحلة ..ولتكن الشمس أو ليكن القمر .. فلتكن شمعة صغيرة .. كل ما تراه هو ما سأصدقه ..

فقال بتروشيو بإصرار : هو القمر ..

كيت : نعم .. هو القمر ..

بتروشيو : كاذبة .. إنها الشمس ..

كيت : نعم ..ولكنها لن تكون كذلك إذا قلت أنت بخلاف ذلك ..

فقال بتروشيو وهو يستوى واقفا :

- إذن هيا .. سنواصل الطريق إلى بادوا ..

وفى سيرهم اعترض طريقهم شيخ عجوز ، تبدو على هيئته .. ملامح الثراء .. فقال بتروشيو مخاطبا زوجته :

- انظرى يا كيت .. هذه الصبية الفاتنة التى تقبل نحونا ..

اقترب الشيخ منهم ..وكان هورتنشيو يقول فى سره ..

– إنه سيقنعها بأنها صبية وليست شيخا عجوزا ..

حيا بتروشيو الشيخ قائلا : صباح الخير يا سيدتى الظريفة .. هل رأيت يا كيت وجها فى نضارة وجه هذه الفتاة ؟.. هل رأيت مثل قوامها ؟..

أمنت كيت على قوله وأضافت :

– أيتها العذراء المتفتحة كالوردة الجميلة .. إلى أين تذهبين ؟.

كان الشيخ يستمع إلى كلمات كيت مشدوها .. فلم يسبق لمخلوق أن خاطبه بصيغة الأنثى .. كما أن احتمال الاشتباه فيه معدوم ..

اسكت بتروشيو زوجته بإشارة من يده قائلا :

– عجبا يا كيت .. إن الذى يقف أمامك كهل .. عجوز..فعادت كيت تقول : أغفرلى يا أبى العزيز .. فقد أثر وهج الشمس فى عينىّ ..

وقال بتروشيو : سامحها يا سيدى ..ولكن . ما هو اسمك وما هى قضيتك ؟.. وإلى أين أنت متجه ؟..

قال الشيخ : اسمى هو ڤنسنشيو وأقيم فى بيزا وأنا ذاهب إلى بادوا لزيارة ابن لى اسمه لوسنشيو ..

بتروشيو : فلتصحبنا إذن .. فإننا متجهون حيث يجتمع الأحباء كلهم..

وسار الأربعة متجهين إلى بادوا ..

★ ★ ★

# الفصل الخامس

أرشد بتروشيو الشيخ ڤنسنشيو إلى بيت ابنه واستأذن فى الانصراف إلى بيت باتيستا ولكن العجوز أصر أن ينزل عنده ضيفا .. فلما طرق باب البيت أطل ڤنسنشيو المزيف من النافذة قائلا :

– من ذا الذى يطرق الباب ؟.. ماذا تريد ؟..

ڤنسنشيو : هل هذا هو بيت السيد لوسينشو؟.

– نعم .. ومن أنت ..

– أنا والده وقد جئت من بيزا الآن ..

– أنت كاذب .. فأنا أبوه ..

– أنت أبوه ؟..

– نعم .. هكذا قالت لى أمه وقد صدقتها ..

صاح تبروشيو به : تعال يا رجل .. ما الذى دفعك إلى هذا الإدعاء؟.

كان ڤنسنشيو المزيف صاح : اقبضوا على هذا الرجل الذى ينتحل صفتى ..

فى تلك اللحظة أتى بيوندللو قادماً من الكنيسة تاركا سيده لوسنشو وخطيبته بيانكا لعقد قرانهما فيها . .فلما أبصر سيده ڤنشسنشيو الحقيقى صاح مذعورا :

– من .. السيد ڤنسنشيو !؟ .. لقد ضعنا ..

صاح ڤنسنشيو : تعال هنا أيها الكلب .. هل نسيتنى ؟..

وأثر بيوندللو اصطناع البلاهة فأجابه : لم أنسك يا سيدى .. ولا يمكن أن أكون قد نسيتك فأنا لم أراك فى حياتى من قبل !!..

ڤنسنشيو : أنا والد سيدك أيها الوغد ..

بيوندللو : والد سيدى هو ذلك الذى يطل علينا من النافذة الآن ..

بعد ذلك الجواب هجم ڤنسنشيو على بيوندللو ،وأخذ يكيل له الصفعات والكلمات وبيوندللو يصيح .. النجدة .. النجدة .. هذا الرجل مجنون يريد قتلى ..

وصاح الرجل المطل من النافذة مشاركا إياه الصراخ :

– النجدة .. هنا مجنون طليق النجدة ..

تجمع الناس على هذا الصراخ ووقفوا يشاهدون ما يحدث وهم لا يستطيعون الحكم فى الأمر لأن كلا من ڤنسنشيو المدعى ..والحقيقى كانا شخصين غريبين عن بادوا ..وبينما الصراخ مستمر والنزاع قائم .. أتى ترانيو بصحبة باتيستا .. فشاهدا الجمع الغفير أمام المنزل ..

وما أن وقعت عينا ڤنسنشيو على ترانيو حتى هرع نحوه وهو يقول :

- ترانيو : ماذا .. صديرى من حرير ؟ وجورب من القطيفة ؟.. وقبعة مخروطية ذات شارة ؟.. الآن عرفت أين تذهب نقودى .. أنا فى بيزا أقتصد وأدخر وابنى وخادمه هنا ينفقون ويسرفون ..

فقال ترانيو مصطنعا الوقار :

- سيدى .. إن مظهرك يدل على أنك سيد عريق متزن العقل ولكن كلامك يدل على أنك مجنون .. إن الفضل فى مظهرى هذا يعود إلى والدى الكريم ..

صرخ الشيخ : والدك .. والدك يا وغد .. والدك إسكافى فقير هل نسيت ؟..

تدخل باتيستا فى الحديث فقال موجها حديثه للشيخ :

- أنت مخطئ يا سيدى .. من هو فى اعتقادك ؟..

صرخ الشيخ : مخطئ .. مخطئ فى من ؟.. فى خادمى ؟.. إن اسمه ترانيو وقد ربيته فى بيتى وكان عمره ثلاث سنوات ..

صاح ڤنسنشيو المزيف من النافذة قائلا :

- أيها الحمار المجنون .. اسمه هو لوسنشو وهو ابنى ووريثى ..

هجم ڤنسنشيو على ترانيو وتشبث بمعطفه وهو يصرخ :

– تقول إن اسمك لوسنشيو .. أنت قتلت ابنى إذن .. اقبضوا عليه اقبضوا عليه ..

وصاح ترانيو : نادوا شرطيا .. فهذا المجنون مكانه السجن ..

.. وبينما هم في ذلك الشجار .. وبينما أصواتهم تجلجل المكان إذ ابصر ترانيو سيده لوسنشيو قادما وبصحبته بيانكا .. فصاح ببيوندللو وبالشيخ أن يختفيا عن الأنظار بأسرع ما يمكنهما ففر بيوندللو بعيدا .. بينما اصطحب ترانيو الشيخ إلى الشارع الخلفى للاختباء ..

ابصر لوسنشيو أباه .. فتوجه إليه مسرعاً وهو يقول :

– ابنى العزيز .. ماذا حدث ..؟..

احتضن الأب ابنه .. أنت حي .. أنت حى .. أنا لا أصدق ..

تقدمت بيانكا من ڤنسنشيو وركعت أمامه قائلة : عفوك يا أبتاه ..!..

فسألها باتيستا مندهشا : لم تطلبين منه العفو .. من هو بالنسبة لك ؟..

ثم أخذ يتلفت حوله ويسأل : أين لوسنشيو ؟..

تقدم لوسنشيو منه قائلاً : ها أنا ذا .. أنا الابن الحقيقى لڤنسنشيو الحقيقى ..

تلفت ڤنسنشيو حوله يبحث عن ترانيو قائلا :

– أين هذا الملعون ؟.. أين ترانيو الذى نعتنى بالجنون ..

بينما سأل باتيستا لوسنشيو : ولكن .. أنت كامبيو معلم بيانكا !!.

فقال لوسنشيو : لا بل أنا لوسنشيو .. وقد حملنى حبى لابنتك على استبدال مكانتى بمكانة ترانيو .. أنا المسئول عن كل ما حدث فاغفر له يا والدى إكراما لى ..

ڤنسنشيو : لقد وصفنى بالجنون .. وأراد أن يزج بى فى السجن ..

كان باتيستا فى غيبة عن كل ما يحدث حوله .. وكأنه يفكر فى شئ أو يحاول استنتاج حقيقة بدأت تلوح فى الأفق ..وأخيرا سأل لوسنشيو :

– هل تزوجت ابنتى ؟.

– نعم ..

– دون أن تسألنى هل أنا راضٍ عن هذا الزواج أم لا ..؟..

تدخل ڤنسنشيو : لاتخف يا سيد باتيستا فإننا نرضيك حتى ترضى ..

كان بتروشيو وكيت يراقبان هذه الأحداث المتلاحقة فى شغف .. حتى تنهدت كيت قائلة :

– زوجى العزيز .. هلم بنا إلى منزل أبى ..

بتروشيو : قبلينى أولا ..

– كيت : ماذا ؟ .. على قارعة الطريق وأمام هذا الحشد ..

بتروشيو : هل تخجلين منى ؟.. إذن هيا نعود إلى منزلى فى الريف..

أمسكت كيت به .. وجذبته نحوها وهى تقول : لا .. لا .. ها هى القبلة التى تريدها ..

★ ★ ★

عادت الأمور الى مجراها .. وعاد السادة أسياداً ..والخدم أتباعاً .. كان الجميع جلوساً على مائدة السيد لوسنشيو فى مأدبة ضمت المعارف والأصدقاء ..

باتيستا وڤنسنشيو .. متجاوران .. ثم جريميو والعجوز الذى كان ڤنسنشيو لبعض الوقت .. بيانكا بجانب زوجها لوسنشيو .. وكيت بجوار بتروشيو .. ثم هورتنشيو مع زوجته الأرملة ..

وكان بيوندللو وجريميو يشرفان على الخدمة .. بينما كان ترانيو رهن إشارة كل ذى حاجة من المجتمعين ..

قال لوسنشيو : أخيرا انسجمت أنغامنا بعد طول نشاز .. وعم السلام بيننا بعد هذه الحرب الضروس .. هيا يا عزيزتى بيانكا ..

أكرمى ضـيافة أبى .. كـما سأحـتفى بأبيك وأنت يابتروشـيو ويا كـاثارينا مـدا يديكمـا إلى مـالذ وطـاب من الطعـام ..وكـذلك أنت يا هورتنيشو وزوجتك المحبة ..

وبعد أن انتهى الجميع من طعامـهم .. انتقلوا إلى القاعة حيث قدم الخدم الخـمر والفـاكهة والحلوى .. ودارت أحـاديث شتى حـتى قال بتروشيو مخاطبا هورتنشيو

- أراهن أنك تخاف امرأتك يا هورتنشيو ..

فسألته الزوجة :

- وهل تخاف أنت من زوجتك يا سيد بتروشيو ؟..

فأجابها بتروشيو ..كلا بالطبع ..

فعادت زوجة هورتنشيو تقول : لقد كنت أعتقد أن المصابا بالدوار يظن أن الدنيا من حوله هى التى تدور ..

تبروشيو : أنا لا أفهم ..

هورتنشيو : إياك .. فهى حكيمة ..

تدخلت كيت سائلة الزوجة .. ما معنى قولك يا سيدتى ؟..

- معناه أن زوجك ربما يتكلم من أساه .

كيت : أنت وضيعة ..

هلل بتـروشـيـو : هيا يا كـيت .. استـعملى مـواهبك فى السـباب

وسأراهن أنك ستفوزين .. ألف مارك ..

وصاح هورتنشيو : أقبل الرهان .. فإن زوجتى ضليعة فى السباب أيضا ..

وأخذا فى تبادل الشتائم والجميع يضحكون .. وقد لعبت الخمر برؤوسهم ..

وأخيرا قال بتروشيو لامرأته كيت :

– والآن يا كاثارينا .. إن زوجة هورتنشيو مشاكسة بذيئة ..وكذلك هو الاتجاه الذى تسير فيه أختك تقريبا .. لذلك فأنا أعهد إليك أن تشرحى ماذا على هاتين السيدتين أن يفعلا للحصول على رضا زوجيهما وسيديهما .. وجهى حديثك إلى زوجة هورتنشيو أولا ..

أطاعت كيت أوامر زوجها ووجهت حديثها إلى الزوجة قائلة :

– تبا لك ..تبا لك .. ابسطى أسارير وجهك وحلى عقدة جبينك ولا تلقى بنظرات الاحتقار من عينيك هاتين لتؤذى بها مولاك وملكك وحاكمك ..

إن المرأة الثائرة كعين الماء الفاترة .. يأنف الظامئ أن يرشف منها رشفة أو يجرع منها قطرة ..

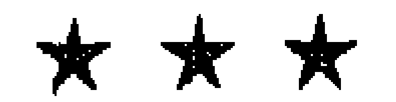
إرضي كبرياءك وضعى راحتك تحت قدمي زوجك ..

صاحبتروشيو مهللا : مرحى .. مرحى .. هذه هى الأنثى .. تعالى

قبلينى يا كيت ..

.. هيا بنا يا عزيزتى نبدأ حياتنا الزوجية .. فقد تزوج الجميع ولكنهم لم يظفروا بزوجة مثلك .. أنا الفائز ..ومادمت الفائز .. فليسعد الله مساءكم ..

ثم خرج هو وزوجته متعانقين ..



# الصعلوك .. مرة أخرى ..

.. كان الظلام يسود المكان .. ولا توجد فى الشـوارع المقفرة سوى الكلاب الضالة المتشردة ، وبعض القطط التى تفتقر إلى المأوى ..

وفى وسط هذا الظلام سار رجلان يحملان رجلاً ثالثا ..وعند باب إحدى الحانات ألقيا به .. وتسللا عائدين إلى حيث جاءا ..

.. كـان الرجل نائما .. ولـكن شيـئا مـا أيقظه ، ربما كـانت برودة الأرض وخشونتها ..

ولم يكن هذا الرجل سوى كريستوفر سلاى .. وقد ارتدى أسماله البالية مرة أخرى ولم يتغير فى هيئته السابقة شئ ..

وخرج صـاحب الحانة من حانتـه ليغلق أبوابها ، فـتعثرت قـدماه بالرجل الراقد ..

– من !! من هذا الذى يرقد عـلى الأرض فى هذه السـاعة المتـأخره من الليل ؟..

وانحنى الخمار العجوز وتأمل الشخص الراقد ..

– من !؟.. كريستوفر سلاى !!؟.

قال الصعلوك بضعف أعطونى كاساً من الخمر .. هل ذهبت الفرقة المسرحية ؟..

صاح به الخمار : أفق يا سكير ..

الصعلوك : سكير !! .. ألست سيداً !؟..

الخمار : سيداً !! نعم أنت سيد مصاب بالطاعون أو بالجرب .. أفق يا ملعون ..

الصعلوك : من هذا ؟ .. الخمار !؟.. يا الله ..

ووقف كريستوفر سلاى وأخذ يتأمل أرجاء الموضع الحقير الذى وجد نفسه فيه بعد أن كان فى قصر ومن حوله الخدم والاتباع ..

الصعلوك : لقد كنت أحلم .. يا الله .. لقد رأيت فى هذه الليلة رؤيا عظيمة ..

فقال الخمار وهو يدفعه :

– مهما كانت الرؤيا التى رأيتها ، فلابد لك من العودة إلى بيتك لأن زوجتك ستلعنك لبقائك الليل هنا تحلم ..

وتذكر كريستوفر سلاى أحداث المسرحية التى شاهدها فى القصر .. أو فى الحلم كما أعتقد فقال محتدا :

– زوجتى تلعننى .. لا يا صاحبى ، لقد عرفت الآن كيف أروض الشرسة ، إن ترويض النساء فن كبير استطاع سلاى أن يتقنه

ويتعـرف على أسراره ، أنا ذاهـب إلى زوجتى الآن لأروضـها و يا ويلها إن هى رفـعت صوتهـا فـوق صـوتى ، أو لم تعاملنى المعـاملة اللائقة ، تعال معى أيها الـخمار لأكمل لك بقية الرؤيا التى رأيتها الليلة ، ولتكن ضـيفـا علىّ فى منزلى المتـواضـع كى تشـاهد بنفسك كـيف سأحول زوجتى الشرسة إلى قطة وديعة .. تعال معى كى أقص عليك كيفية " ترويض الشرسة "..

( تمت )

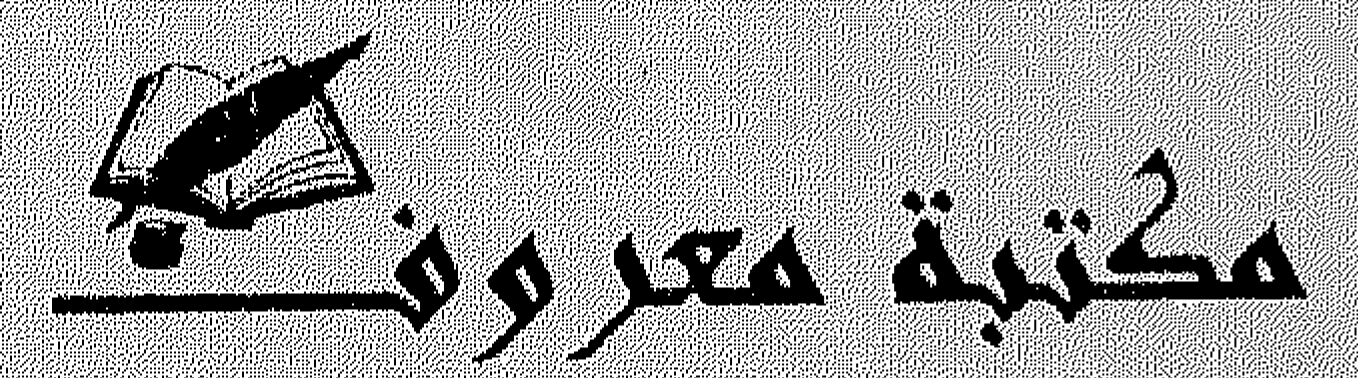
## تنبيه

لا ينبغى أن يغيب عن ذهن القاريء المسلم ان أحداث هذه الرواية تجرى فى مكان تقاس فيه الفضيلة و الرزيلة بمقاييس بعيدة عن المفاهيم و التقاليد الاسلامية و التى يجب أن نتمسك بها ما حيينا و نحن إذ نفتح له نافذة على أدب الغرب نطالبه بالحرص .

فمن الهواء ما يحمل الصحة و من الهواء أيضاً ما يحمل المرض .

* * *


بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض




الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١١٢٥ فاكس ٤٨١٠٠٨٩
القاهـرة : ٢٦١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية

١٢٥ ب

@ www.in touch . Marouf . Com